

التوسل المشروع والممنوع

لفضيلة الدكتور/ عواد بن عبدالله المعتق^(١)

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده...،
أما بعد : فمن المعلوم أن أي عمل يقوم به الإنسان لا يكون مقبولاً عند الله تعالى حتى يتوفر فيه شرطان : أحدهما : أن يكون خالصاً لوجه الله .

الثاني : أن يكون موافقاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
ونظراً لأن التوسل البدعي يخلّ بالشرط الثاني، بل إنه وسيلة قد تفضي إلى الشرك وقد أشكل فهمه على كثير من الناس، مما أوقع الكثير فيه. لذا أحببت أن أكتب لمحة موجزة حول التوسل المشروع والممنوع .

تتلخص فيما يلي : تمهيد : في تعريف التوسل والوسيلة .

المبحث الأول : التوسل المشروع : تعريفه :

(١) عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالرياض .

أنواعه :

الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته.

الثاني: التوسل بالأعمال الصالحة.

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الصالح الحي.

الرابع: التوسل إلى الله بذكر الحال.

المبحث الثاني : التوسل الممنوع : تعريفه :

أنواعه :

الأول: التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها : مثاله - حكمه - دليله .

الثاني: التوسل بوسيلة : دلت قواعد الشرع على بطلانها، ومن أنواعه :

- ١- التوسل إلى الله بذات مخلوق ، مثاله.
- ٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما ، مثاله.
- ٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له ، مثاله.
- ٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق نبيه أو وليه ونحوهما ، مثاله

حكم هذا النوع من التوسل :

الأدلة على منعه : عرض ما تيسر من شبهات من قال به مع المناقشة.

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

أولاً : شبهاتهم فيما استدلوا به من القرآن .

ثانياً : شبهاتهم فيما استدلوا به من السنة ومن أقوال وأفعال
الصحابة والتابعين.

ثالثاً : شبهاتهم من العقل.

وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل صوابه وأن يتجاوز عن خطئه إنه
سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد : في تعريف التوسل والوسيلة .

أما التوسل فهو في الأصل : التقرب . يقال توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل.

كما يأتي ويراد به : السرقة . يقال : أخذ فلان إبلي توسلاً : أي سرقة.

وفي الشرع : هو التقرب إلى الله تعالى بقربة مشروعة .
وأما الوسيلة : فهي في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، كما تأتي ويراد بها : المنزلة عند الملك ، والدرجة .
وفي الشرع : ما يتقرب به إلى الله رجاء حصول مرغوب أو دفع مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات^(١) .
وتكون مشروعة ، كما تكون ممنوعة .
إن كانت وردت في الكتاب أو صحيح السنة فهي مشروعة .
وإلا فهي ممنوعة .

وعليه فالتوسل قسمان :

توسل مشروع :

وتوسل ممنوع :

(١) انظر : لسان العرب ، مادة وسل ج ٣ ص ٩٢٧ ، والقاموس المحيط ج ٤ ص ٦٤ ، والنهاية لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٥ ، وقاعدة جليلة ص ٤٨ ، وروح المعاني ج ٦ ص ١٢٤ ، ورسالة الشرك ومظاهره ص ٢٠٢ .

المبحث الأول : التوسل المشروع

المراد به : هو تقرب العبد إلى الله بوسيلة وردت في الكتاب

أو صحيح السنة، ومن أنواعه ما يلي :

النوع الأول : التوسل بأسماء الله وصفاته.

بيانه : هو التوسل إلى الله بالاسم المقتضي لمطلوبه أو بالصفة

المقتضية له^(١).

مثاله : كأن يقول في دعائه : اللهم إني أسألك بأسمائك

الحسنى وصفاتك العلى أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا، أو يقول:

اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير أن

تعافيني ، أو يقول : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء

أن ترحمني وتغفر لي^(٢) ونحو ذلك.

أدلة مشروعيته :

لقد دل على مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته أدلة كثيرة

من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٣).

(١) الجواب المختار ص ٥٠.

(٢) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢ . وقاعدة جليلة ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٠ .

وجه الدلالة : أن الله سبحانه وتعالى : أمرنا أن ندعوه متوسلين بأسمائه الحسنی، وأسماءه - سبحانه - متضمنة لصفاته فتكون داخلة في هذا الطلب ^(١). وبذلك يتضح دلالة الآية على مشروعية التوسل بأسمائه وصفاته.

ومن السنة :

١- قوله صلى الله عليه وسلم في أحد الأدعية الثابتة عنه قبل السلام من صلاته صلى الله عليه وسلم ((اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خير لي وتوفني إذا علمت الوفاة خير لي... الحديث)) ^(٢).

٢- ومنها : ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كرهه ^(٣) أمر يقول: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » ^(٤).

٣- ومنها ما رواه ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢.

(٢) أخرجه النسائي في السهو، باب نوع آخر من الدعاء وإسناده جيد . انظر : جامع الأصول حديث ٢١٨٤.

(٣) أي إذا أهمله.

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ٩٩ انظر : جامع الأصول حديث

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وسلم قال: ((من كثر همه فليقل : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك وابن أمتك ، وفي قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سَمَّيتَ به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك : أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء همي وغمي ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه ، وأبدله به فرحاً))^(١).

٤ - ومنها : ما رواه أنس بن مالك أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ، ورجل يصلي ثم دعا الرجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السماوات والأرض ، ذو الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ((أتدرون بم دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : والذي نفسي بيده ، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى))^(٢) ^(٣).

(١) رواه أحمد في المسند برقم ٣٧١٢ ، ٤٣١٨ وصححه ابن حبان برقم ٢٣٧٢ ، عن عبد الله بن مسعود ، وانظر جامع الأصول حديث ٢٣٠٠ (المتن والحاشية) .

(٢) رواه أبو داود في الصلاة ، باب الدعاء والترمذي في الدعوات باب ، رقم ١٠٩ والنسائي في السهو ، باب الدعاء بعد الذكر وإسناده صحيح انظر جامع الأصول حديث ٢١٤٣ .

(٣) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢ - ٣٥ ، وكشف ما ألقاه إبليس ص ٩٢ .

هذه نبذة يسيرة من أحاديث كثيرة كلها تدل على مشروعية التوسل إلى الله باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته؛ ذلك أنها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أو إقراره، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١). ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٢)، وبذلك دلت على مشروعية التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

النوع الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة.

وهو التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته ، ويدخل في ذلك كل عمل قام به العبد بقلبه أو لسانه أو جوارحه خوفاً من الله أو رجاءاً له وحده - لا لدافع آخر.

كيفية: هو أن يتذكر الداعي عملاً صالحاً قام به لله وحده لا لدافع آخر . بعد أن يتذكر العمل يتوجه إلى ربه متوسلاً بهذا العمل في أن يعطيه أو يدفع عنه.

مثاله : كأن يقول المسلم : اللهم بإيماني بك واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول : اللهم إنك تعلم بأني عملت كذا - ويسمي عملاً قام به لله وحده - اللهم إن كنت عملته رجاء لثوابك وخوفاً من عقابك فأعطني كذا أو ادفع عني كذا ، ونحو ذلك .

(١) سورة الحشر، الآية ٧ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٢ .

أدلة مشروعيته :

لقد دل على مشروعية التوسل بالعمل الصالح أدلة كثيرة من الكتاب والسنة منها ما يلي :

أولاً : الأدلة من الكتاب : منها :

١- قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(١).

٢- وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ ^(٢).

٣- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٣).

وجه الدلالة : في الآيات الثلاث توسل بالإيمان ، وهو عمل صالح من أعمال القلب وذلك دليل على مشروعية التوسل بالعمل الصالح .

٤- وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ءَامِنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ^(٤).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩٣ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١٠٩ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ٥٣ .

وجه الدلالة : في الآية توسل بالإيمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهي من أعمال القلب والجوارح الصالحة ، وبذلك دلت الآية على مشروعية التوسل بالعمل الصالح .

٥- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ .

وجه الدلالة : في الآيتين توسل برفع القواعد من البيت الحرام ، وهو عمل صالح ؛ ذلك أنه استجابة لأمر الله لهما بذلك .

٦- وقوله تعالى : ﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٢﴾ .

وجه الدلالة : في الآية توسل بالسمع والطاعة وامتنال أمره سبحانه والقيام بما تقتضيه هذه الطاعة من فعل الأوامر وترك النواهي استجابة لأمره سبحانه وهي من الأعمال الصالحة.

فهذه الآيات وغيرها الكثير كلها أدلة على مشروعية هذا النوع من التوسل ^(٣).

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٢٧، ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .

(٣) انظر : قاعدة جليلة ص ٥ ، ١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ وشرح الطحاوية ص =

ثانياً : الأدلة من السنة وهي كثيرة جداً ، منها ما يلي :

١- روى بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)، هذه رواية الترمذي ، وفي رواية أبي داود (باسمه الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب)^(١).

وجه الدلالة : في الحديث - كما نرى - توسل بالإقرار والتصديق بشهادة التوحيد ، ووصفه سبحانه بأخص الصفات وهي من أعمال القلب واللسان الصالحة .

٢- قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفذ فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، فإذا أراد أن يضطجع ، فليضطجع على شقه الأيمن ، وليقل : سبحانك ربي باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها،

= ٢٦٤ والتوسل للألباني ص ٣٥ ، ٣٦ والتوصل ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٩ .

(١) رواه الترمذي برقم ٣٤٧١ ، وأبو داود برقم ١٤٩٣ ، انظر جامع الأصول حديث ٢١٤١ .

وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين))^(١).

وجه الدلالة : في الحديث، وصية من المصطفى صلى الله عليه وسلم للمضطجع أن يقدم بين يدي دعائه توسلاً إليه سبحانه بتسبيحه وتنزيهه، واعتقاد صادق بأنه لا يضع جنبه أو يرفعه إلا بعون من الله تعالى، ولا شك أن هذا المتوسل به من أعمال اللسان والقلب الصالحة .

٣- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال : ((قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم))^(٢).

وجه الدلالة : في الحديث توسل بأمرين .

الأول : بالاعتراف بالذنوب وهو يتضمن: الندم على فعل الذنب ، والتوبة والإقلاع عن فعله .

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب السؤال بأسماء الله ، ومسلم في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وانظر جامع الأصول حديث - ٢٢٥٦ .
(٢) رواه البخاري في صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام. ومسلم برقم ٢٧٠٥ في الذكر الدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر. والترمذي برقم ٣٥٢١ ، والنسائي في السهو، باب نوع آخر من الدعاء ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢١٨٦ .

الثاني : بالإيمان بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، وهذان من

أعمال القلب واللسان والجوارح الصالحة.

٤ - قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . قال : سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول : ((انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم

حتى أواهم المبيت إلى غارٍ ، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل

فسدت عليهم الغار . فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا

أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللهم كان لي

أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى

بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما

غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو

مالاً ، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر

- زاد بعض الرواة : (والصبية يتضاغون عند قدمي - فاستيقظا

فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج

عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون

الخروج . قال : النبي صلى الله عليه وسلم . قال الآخر : اللهم

كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إلي فأردتها على نفسها ،

وامتنعت مني ، حتى ألت بها سنة من السنين ، فجاءتني ، فأعطيتها

عشرين ومائة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى

إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراً، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون^(١).

وجه الدلالة: الحديث يدل على مشروعية التوسل إلى الله

بصالح الأعمال من وجهين:

الأول: أن هؤلاء الثلاثة عند ما توسلوا إلى الله بصالح

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم في الذكر، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، وأبو داود في البيوع، باب الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه، وانظر: جامع الأصول حديث ٧٨٢٢.

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

أعمالهم استجاب الله لهم ، ولو كان التوسل إلى الله بصالح العمل غير مشروع لم يستجب لهم .

الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقره وذكره في معرض الثناء عليهم ، ولو كان غير مشروع لم يقره صلى الله عليه وسلم. يقول الإمام النووي - في معرض شرحه لهذا الحديث - (استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم)^(١).

ثالثاً : الأدلة من عمل الصحابة :

من المعلوم أن الصحابة الذين هم خيرة هذه الأمة بعد نبيها إنما نالوا هذا الخير لالتزامهم بأمر الله أمراً ونهياً ، فكل عمل يعملونه إنما هو تطبيق لما شرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. لذا كان إيراد أمثلة من توسلاتهم بالعمل الصالح أدلة تؤكد مشروعية هذا النوع من التوسل .

وتجنباً للإطالة سنكتفي بمثالين من أعمالهم رضي الله عنهم .

المثال الأول : ما رواه الطبري عن ابن وكيع قال : حدثنا

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ج ١٧ ص ٥٦ .

أبي عن حريث بن أبي مطر عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال: (سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد، وهو يقول: ربي أمرني فأطعتك، وهذا سحر فاغفر لي، فنظرت، فإذا ابن مسعود)^(١). يشير - رضي الله عنه - في قوله (وهذا سحر) إلى الحديث الشريف : وهو (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)^(٢).

وجه الدلالة : في هذا الأثر - كما نرى - توسل ابن مسعود بالقيام بالسحر - وهو من أجل الأعمال الصالحة - في أن يغفر له، مما يؤكد مشروعية التوسل بالعمل الصالح .

المثال الثاني : ما روي عن عراك بن مالك رضي الله عنه أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أحبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين) رواه ابن أبي حاتم^(٣).

(١) رواه الطبري في تفسيره ج ٦ ص ٢٦٦ ونقله عنه ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٨. ورواه القرطبي في الأحكام ج ٤ ص ٤٠ وانظر : تفسير ابن مسعود ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، انظر: فتح الباري ج ٣ ص ٢٩ (المتن) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٧ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وجه الدلالة : هذا الأثر يفيد أن عراك بن مالك توسل إلى الله تعالى بإجابة دعوة الله إلى الصلاة، وهي الأذان وبصلاة فريضة الجمعة، وبانتشاره من بعد الصلاة كما أمره الله وسائر المسلمين في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾^(١) وهذه كلها أعمال صالحة توسل إلى الله تعالى بها في أن يرزقه من فضله، مما يؤكد مشروعية التوسل بالعمل الصالح .

النوع الثالث : التوسل إلى الله بدعاء الصالح الحي :

وهو توسل المسلم الذي وقع في ضيق أو حلت به مصيبة بدعاء إنسان يظهر عليه الصلاح والتقوى، ويتم بطلب من المتوسل، كما يتم من غير طلب .

مثال الأول : كأن يذهب المسلم الذي حلت به مصيبة وعلم من نفسه التفريط في جنب الله إلى رجلٍ يعتقد فيه الصلاح ويطلب منه أن يدعوا الله له أن يرفع عنه ما حل به .

ومثال الثاني : كأن يرى العبد الصالح أخاً له في ضيق وشدة فيدعوا الله له أن يفرّج عنه .

ويكون في حضور المدعو له ، كما يكون في غيبته ، ولا فرق أن يدعوا الأعلى للأدنى، أو الأدنى للأعلى، فكل ذلك جائز ومقبول - إذا شاء الله سبحانه وتعالى .

(١) سورة الجمعة، الآية ١٠ .

مثال الأعلى للأدنى : توسل الصحابة بدعاء نبيهم صلى الله عليه وسلم .

ومثال الأدنى للأعلى : طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يوم عمرته أن يدعو الله له ^(١) .
الأدلة : لقد دل على مشروعية هذا النوع من التوسل أدلة كثيرة من الكتاب والسنة .

أولاً : الأدلة من الكتاب وهي كثيرة. منها ما يلي :

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ^(٢) .

وجه الدلالة : في الآية إرشاد لمن ظلم نفسه بارتكاب خطيئة إلى سببين ينقذان منها :

الأول : الاستغفار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عمل صالح يقدمه الإنسان وسيلة للاستجابة.

الثاني : استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم له، وهذا هو محل الشاهد إذا هو توسل بدعائه صلى الله عليه وسلم . وعليه فكل

(١) انظر: قاعدة جلية ص ١٤ ، ٤٣ ، ٤٤ والفتاوى ج ١ ص ١٣١ ، ١٣٢ ،

ج ٢٧ ص ٦٩ والتوسل للألباني ص ٤١ .

(٢) سورة النساء، الآية ٦٤ .

مما يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي ؛ ذلك أن العقيدة واحدة لا تتغير من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

٣- قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾^(٢).

وجه الدلالة : يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن المخلفين من الأعراب سيعتذرون بأموالهم وأهليهم ، ويطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم وهو توسل بدعائه صلى الله عليه وسلم ، وهذا الطلب - وإن كان مصانعة وتقية - فإنه يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي من وجهين :

الأول : أنهم طلبوه ولولا علمهم بمشروعته لما طلبوه.

الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرهم على ذلك ، ولو كان غير مشروع لاعترض على طلبهم^(٣). وبذلك دلت الآية على مشروعية هذا النوع من التوسل والله أعلم .

(١) انظر تفسير النسفي ج ٢ ص ١٢٩ ، وروح المعاني ج ١٣ ص ٥٥ ، ٥٦

وتفسير ابن سعدي ج ٤ ص ٩٩ .

(٢) سورة الفتح، الآية ١١ .

(٣) انظر : تفسير ابن سعدي ج ٧ ص ١٧٧ والتوصل ص ١٤٧ .

ثانياً : الأدلة من السنة - وهي كثيرة - منها ما يلي :

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو باب دار القضاء - ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب - فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا .

قال: أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قرعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب - فاستقبله قائماً. فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: اللهم حولنا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر. قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس^(١).

وجه الدلالة : يفيد الحديث أن المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابهم جَدْب فتقدم أحدهم إلى رسول الله

(١) رواه البخاري برقم ١٠١٣ ، ١٠١٤ في كتاب الاستسقاء، باب ٦ ، ٧ .

صلى الله عليه وسلم طالباً منه أن يدعو الله أن يغيثهم، فدعا الله فأغيثوا، ثم تقدم إليه هو أو غيره طالباً أن يدعو الله أن يمسكه عنهم فدعا الله فانجباب السحاب عن المدينة. كل هذا يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح^(١) الحي لا بذاته أو جاهه، إذ لو كان ذلك مشروعاً لأرشدهم صلى الله عليه وسلم إليه. عندما شكوا الجذب، ولما احتاج منهم المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة، إذ التوسل بالجاه أو الذات لا يحتاج إلى ذلك .

٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن لي وقال : (لا تنسنا يا أخي من دعائك) .

وفي رواية قال : « أشركنا يا أخي في دعائك - قال عمر : فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا »^(٢).

وجه الدلالة : في الحديث دلالة على أمرين :

الأول : على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي حيث أكد صلى الله عليه وسلم على عمر أن يدعو له في قوله : (لا تنسنا يا

(١) انظر : فتح الباري ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٢) رواه أبو داود برقم ١٤٩٨ في الصلاة، باب الدعاء ، والترمذي برقم ٣٥٥٧ في الدعوات، باب ١٢١ وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، انظر : جامع الأصول حديث ٦٤٤٤ .

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

أخي من دعائك) ذلك أن أقواله صلى الله عليه وسلم من السنة التي هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله .

الثاني : أن التوسل بدعاء الصالح كما يكون بدعاء الأعلى يكون بدعاء الأدنى حيث طلب صلى الله عليه وسلم وهو الأعلى من عمر أن يدعو له^(١). وفيه دلالة أيضاً على مبلغ حرصه صلى الله عليه وسلم على الخير وعلى تعليم أمته إياه .

٣- عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير . (وفي رواية : وإن شئت صبرت ، فهو خير لك)، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفّعه فيّ) قال: ففعل الرجل فبرأ^(٢).

(١) انظر الفتاوي ج ٢٧ ص ٦٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم ١٧٢٤٠ ، ورقم ١٧٢٤١ ، انظر المسند ج ٢٨ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، والترمذي برقم ٣٥٧٣ في الدعوات، باب من أدعية الإجابة وإسناده صحيح ، وقد صححه غير واحد من العلماء - انظر : جامع الأصول حديث ٢٣٧٥ (المتن والحاشية) .

وجه الدلالة : الحديث يدل على مشروعية التوسل بدعاء

الصالح الحي من وجوه :

أحدها : أن الأعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم شاكياً ما هو فيه من ضر، وسأله أن يدعو له . ولولا علمه بمشروعيته لما أتى وسأل .

الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم خيره بين الصبر وبين الدعاء ثم أقره حيث أصر على الدعاء ، ولو لم يكن مشروعاً لما خيره ثم أقره .

الثالث : دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له، ويفهم من أمور منها :

١- قوله صلى الله عليه وسلم : (**إن شئت دعوت لك، وأن شئت صبرت، ثم قول الأعمى - فادعه**) .

٢- تعليمه دعاء يدعو به يكون بجانب دعاءه صلى الله عليه وسلم وما تضمنه من قوله (... اللهم فشفعه فيّ) وهذا لا يكون إلا إذا كان صلى الله عليه وسلم داعياً له .

من كل ما ذكرنا يتضح أن الحديث يدل دلالة صريحة على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي، أما ما ورد في الحديث من قوله (بنبيك) فالمراد منه بدعاء نبيك بدليل قوله :

إن شئت دعوت لك ، وقوله (اللهم فشفعه في)^(١).

ثالثاً : الأدلة من أفعال الصحابة (رضي الله عنهم) وهي كثيرة منها ما يلي :

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال : فيسقون)^(٢) وقد روي عن ابن عمر أن هذا الإستسقاء كان عام الرمادة^(٣).

وجه الدلالة : يفيد الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة استسقى بالعباس بن عبد المطلب - أي بدعائه - مثل ما كانوا يعملون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوا منه أن يدعو الله أن يغيثهم . ويؤكد ذلك الواقع فقد أخذ يدعو^(٤) وهم يؤمنون - ولو كان المراد بجأه. لاختار جأه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أعظم. لكن نظراً لأنه بالدعاء، والدعاء لا يمكن من الرسول صلى الله عليه وسلم لوفاته فاختار لذلك التوسل بدعاء

(١) انظر : قاعدة جلية ص ٩٩، والتوسل للألباني ص ٧٦ - ٧٩.

(٢) رواه البخاري برقم ١٠١٠ في كتاب الاستسقاء باب ٣.

(٣) انظر : فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٧.

(٤) انظر : فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٧.

العباس وقد أقره الصحابة على ذلك فكان إجماعاً، والإجماع حجة قاطعة عند الجمهور^(١)، فتأكد بذلك مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي لا بجاهه أو ذاته .

٢- روى أبو زرعه الدمشقي، ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما، وابن الجوزي في صفة الصفوة عن سليم بن عامر الخبائري (أن الشام قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال : أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجله، فقال : معاوية : اللهم أنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم أنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم)^(٢) .

وجه الدلالة : ما ورد في الأثر من قوله : (اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا... إلى قوله: (يا يزيد ارفع يديك إلى الله) يدل على

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ١٠٤ - ١٣١ ، وروضة الناظر ص ٦٧ .

(٢) قال ابن حجر في الإصابة (أخرجه أبو زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح عن سليم بن عامر ، انظر : الإصابة ج ٣ ص ٦٣٤ ، و صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٠٢ ، وقاعدة جليلة ص ١٢٦ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

أن معاوية رضي الله عنه توسل بدعاء صالح حي، ولولا علمه بمشروعيته لما عمله ولو علم أن التوسل بما سوى الدعاء من جاه أو ذات جائز لما عدل عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما سواه - فهو من الصحابة الذين هم أعلم هذه الأمة بشرع الله وأحرصهم على الالتزام به .

النوع الرابع : التوسل إلى الله بذكر الحال .

وهو أن يتوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته.

مثاله : توسل موسى عليه السلام بذكر حاله - بعد أن سقى للمرأتين من ماء مدين .

الدليل على مشروعيته : قوله تعالى عن موسى عليه السلام :

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ^(١) ^(٢)

وجه الدلالة : أن في الآية بيان أن موسى عليه السلام بعد أن

سقى للمرأتين تولى إلى الظل ثم توجه إلى ربه - مبيناً افتقاره للخير الذي يسوقه إليه .

وهذا سؤال منه بحاله ^(٣) وقد استجاب الله دعائه قال تعالى :

(١) سورة القصص، الآية ٢٤ .

(٢) انظر : الجواب المختار ص ٥٠ .

(٣) انظر : تفسير ابن سعدي ج ٦ ص ١١ .

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحَدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾^(١) وذلك دليل على مشروعية التوسل بذكر الحال .

المبحث الثاني : التوسل الممنوع :

تعريفه : هو تقرب العبد إلى الله بما لم يثبت في الكتاب ولا في صحيح السنة أنه وسيلة.

أنواعه : التوسل الممنوع نوعان.

النوع الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها :

مثاله : توسل المشركين بأهتهم.

حكمه : شرك أكبر .

وبطلانه ظاهر : قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾^(٢) ^(٣).

النوع الثاني : التوسل بوسيلة دلت قواعد الشرع على

بطلانها : ومن ذلك ما يلي :

(١) سورة القصص، الآية ٢٥ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٣ .

(٣) انظر : قاعدة جليلة من ١١ ، ١٢ ، ١٦ وأضواء البيان ج ٧ ص ٤٣

والجواب المختار ص ٥١

التوسل المشروع والممنوع _____ د. عواد بن عبدالله المعتق

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق. مثاله : أن يقول المتوسل :
اللهم إني أسألك بنبيك - ولا يعني إلا ذاته - أن تعطيني كذا أو تدفع
عني كذا .

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما.
مثاله : أن يقول المتوسل : اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو
بحق نبيك أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا .

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له كمن يأتي إلى
الميت من الأنبياء أو الصالحين ويقول له سل الله لي أو ادع الله لي
أن يعطيني كذا أو يدفع عني كذا .

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق
نبيه أو وليه ونحو ذلك .

مثاله : أن يقول : اللهم إني أسألك كذا بوليك فلان أو بحق
نبيك فلان ويريد الإقسام أو يقول : اللهم إني أقسمت عليك بفلان
أن تقضي حاجتي^(١) .

حكم هذا النوع من التوسل : محرم : لأنه لم يرد فيه دليل
تقوم به الحجة ، ولأنه ذريعة^(٢) إلى الشرك.

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ١٩، ٢٠، ٣٣، ٣٤، ٥٠، ٥٥، ١٤٩ والتوسل للألباني
ص ٤٧ والقول الجلي ص ٢٩ وفتاوي اللجنة الدائمة ج ١ ص ٣٤٢ ،
٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٢) ذلك أن فيه إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً إلى اعتقاد أن فيه نفعاً من =

وقد يصل إلى الشرك الأكبر إن اعتقد في المتوسل به شيئاً من النفع أو الضر دون الله ^(١).

وقد أجاز بعض ^(٢) المتأخرين هذا النوع من التوسل متمسكين ببعض الشبهات.

وإليك بعض الأدلة على منعه ثم عرض ما تيسر من شبهات من قال به مع المناقشة :

أولاً : الأدلة على منعه : وهي كثيرة منها ما يلي :

الدليل الأول : هذا النوع من التوسل لم يرد له دليل في الكتاب ولا في صحيح السنة ونحن مأمورون بالالتزام بهما وعليه فهو غير مشروع وإنما هو بدعة ممنوعة وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ^(٣) .

= دون الله ومن ثم يحصل دعاؤه فيقع في الشرك. انظر قاعدة جلية ص ٣٣ ، ٣٤ والقول الجلي ص ٢٩ .

(١) انظر : قاعدة جلية ص ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٠ والتوسل للألباني ص ٤٦ والقول الجلي ص ٢٨، ٢٩ والجواب المختار ص ٥١ وفتاوي اللجنة الدائمة ج ١ ص ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ .

(٢) انظر : الضياء الشارق ص ٤٦٤ ، ٤٧٤ والتوسل محمد الفقي ص ١٤٦ ، ١٥٣ وشفاء السقام ١٣٣ ، ١٣٤ والدرر السنية ص ٢ ، ٦-٨ .

(٣) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ، ومسلم في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ، وأبو داود في السنة باب لزوم السنة وانظر : جامع الأصول حديث ٧٥ (المتن والحاشية).

التوسل المشروع والممنوع _____ د. عواد بن عبدالله المعتق

وقال صلى الله عليه وسلم: (... وإياكم ومحدثات الأمور
.... الحديث)^(١).

وإن زعم المخالف أنه موجود فيهما أو في أحدهما ، قلنا
زعم باطل، إذ لا دليل عليه، ومما يؤكد بطلانه أنه لم يعمل به
الصحابة ومن أتى بعدهم من أهل القرون المفضلة الذين هم أعلم
هذه الأمة، بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأشدهم
حرصاً على الالتزام بهما .

فلو كان موجوداً لعملوا به، أیضل عنه الصحابة ويهتدي إليه
هؤلاء المتأخرون؟!^(٢).

الثاني: أن هذا النوع من التوسل ذريعة إلى الشرك^(٣):

وبما أن الوسائل تابعة للمقاصد في الحكم فهو ممنوع سداً
للدريعة وإبعاداً للمسلم من قول أو فعل يفضي إلى الشرك . يقول

(١) جزء من حديث طويل رواه أبو داود في السنة باب لزوم السنة، والترمذي
في العلم باب ١٦، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين
وإسناده صحيح، انظر: جامع الأصول حديث ٦٧ (المتن والحاشية) .

(٢) انظر: قاعدة جليلة ص ١٩، ٢٠، ٥٠، ٧٠، ١٠٥، ١٣١، ١٤٩ والتوسل
للألباني: ص ٣٢، ٤٦، ٤٧ وفتاوي اللجنة الدائمة ج ١ ص ٤٦ وروح
المعاني ج ٦ ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(٣) انظر : قاعدة جليلة ص ٣٣ والقول الجلي ص ٢٩ وفتاوي اللجنة الدائمة
ج ١ ص ٣٤٧ .

ابن القيم: (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها... إلى أن قال : فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يجرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه... ومنعاً أن يقرب حماه ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليها لكان ذلك نقضاً للتحريم)^(١).

ولذا جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة قاطعة على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢). فنهى سبحانه وتعالى المسلمين عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله مع أنها باطلة لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين الإله الحق سبحانه انتصاراً لآلهتهم الباطلة - جهلاً منهم وعدواً.

ومن ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور ، ولعن من فعل ذلك ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها^(٣).

(١) إعلام الموقعين ج ٣ ص ١٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ج ٣ ص ٢٢٣ - ٢٣٠ وإعلام الموقعين ج ٣ ص ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩ - ١٥٥ وفتاوى اللجنة الدائمة ج ١ ص ٣٤٥.

الثالث : أن في هذا النوع من التوسل محذوراً من وجهين :

الأول : فيه شبه بتوسل المشركين بألهتهم وقد ذمه الله حيث

قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾^(١).

ففي الآية عاب سبحانه أمرين :

١- عاب عبادة الأولياء من دونه.


٢- عاب محاولة القربى إليه بالمخلوق ، والتوسل بالذات أو

بدعاء الميت من الأمر الثاني. قال شيخ الإسلام - عندما سئل عن رجلين تناظرا - فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله ، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك . فقال : (الحمد لله رب العالمين إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق...، وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار)^(٢) .

(١) سورة الزمر، الآية ٣ .

(٢) الفتاوى ، ج ١ ، ١٢١ - ١٢٣ .

الثاني : فيه انتقاص لله سبحانه وتعالى وتنزيل له إلى منزلة المخلوق الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره أو يحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله وبعده عن سماع مقالته ^(١) والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝﴾ ^(٢).

الرابع : أن في هذا النوع من التوسل دعاء ميت - وذلك عند التوسل بدعاء الميت - وقد ورد النهي عنه والوعيد عليه؛ إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك^(٣) كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾  ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) <

ويعادي من فعله. كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ^(٥) فكل ميت أو غائب لا

(١) الأجوبة المفيدة ص ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦ .

(٣) قاعدة جلييلة ص ٣٣ ، ٣٤.

(۴) سورة فاطر، الآيتان ۱۳، ۱۴ .

(٥) سورة الأحقاف، الآية ٦ .

يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر .

ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولا عن غيرهم من السلف أنهم أنزلوا حاجاتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، بل العكس نراهم عام الرمادة توسلوا بدعاء العباس رضي الله عنه ؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز التوسل بأحد بعد وفاته لتوسل عمر والسابقون الأولون بالنبي صلى الله عليه وسلم^(١).

قال شيخ الإسلام - بعد أن ذكر بعض الأدلة في النهي عن دعاء غير الله - : (ومثل هذا كثير في القرآن ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته بحضرته، فإنه ينهى من يفعل ذلك بخلاف دعائهم بعد موتهم فإن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم)^(٢).

وقال أيضاً : (فإن دعاء الملائكة ، والأنبياء بعد موتهم .. وسؤالهم .. والاستشفاع بهم في هذه الحال .. هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا أبتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً .. ولا فعله

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٦١ ، ٦٦٢ . وقاعدة جلييلة ، ص ١٩ ،

٣٣ ، ٤٤ .

(٢) قاعدة جلييلة ، ص ٣٣ . وانظر مجموع الفتاوى ج ١ ، ص ٣٣٠ .

أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين^(١).

الخامس : أن من هذا النوع من التوسل ، التوسل بالجاء أو الحق ونحوهما وهو باطل من ثلاثة وجوه .

الأول : أنه توسل بعمل الغير؛ ذلك أن المنزلة والجاء إنما أكتسبها الإنسان بعمله، وعمل الغير مختص به فلو توسل به غيره كان قد سأل بأمر أجني عنه ليس سبباً لنفعه. قال تعالى : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢).

وقال شيخ الإسلام : (قول السائل لله تعالى : " أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم أو بجاء فلان ... " يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح ... ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك ... بل يكون قد سأل بأمر أجني عنه ليس سبباً لنفعه...) ^(٣).

الثاني : أن في التوسل بمنزلة أو حق الغير اعتداء في الدعاء والإعتداء في الدعاء محرم قال تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

(١) قاعدة جليلة ص ١٩.

(٢) سورة النجم، الآية ٣٩ .

(٣) الفتاوي ، ج ١ ، ص ٢١١ ، ٢١٢.

إِنَّهُ لَا تُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١﴾.

وقال شارح الطحاوية : (... فلا مناسبة بين ذلك ^(٢) - وبين إجابة دعاء هذا السائل - فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي وأي مناسبة وأي ملازمة ، وإنما هذا من الإعتداء في الدعاء ، وقد قال تعالى : ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ^(٣) وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة... والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع ^(٤).

الثالث : أن السؤال بحق فلان يتضمن أن للمخلوق حقاً على الخالق وليس على الله حق ^(٥) إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق، يقول القدوري ^(٦): (المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حقاً للخلق على

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٥ .

(٢) وهو قوله (بحق فلان) .

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٥ .

(٤) شرح الطحاوية ، ص ٢٦٢ .

(٥) القول الجلي ، ص ٢٩ .

(٦) هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن القدوري فقيه حنفي، ولد في بغداد سنة ٣٦٢هـ . وانتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق وتوفي سنة ٤٢٨هـ،

انظر : الأعلام، ج ١، ص ٢١٢

الخالق فلا تجوز وفاقاً^(١).

السادس : أن من هذا النوع من التوسل سؤال العبد ربه حاجته مقسماً بمخلوق .

وهذا فيه محذور من وجهين :

الأول : أن فيه إقساماً بغير الله والإقسام بغير الله على المخلوق لا يجوز قال صلى الله عليه وسلم: (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)^(٢) بل عده الرسول صلى الله عليه وسلم من الشرك. قال صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)^(٣) فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق إنه ليس شركاً فقط بل هو تقرب إلى الله بالشرك والتقرب إلى الله إنما يكون بما يرضيه لا فيما يسخطه.^(٤)

قال شارح الطحاوية: (وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان فذلك محذور أيضاً لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز

(١) قاعدة جليلة ص ٥٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٨١ .

(٣) أخرجه الترمذي عن سعد بن عبيدة برقم ١٥٣٥ في الإيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال هذا حديث حسن ، انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٧٨ .

(٤) انظر قاعدة جليلة ص ٢١ ، ١٠٦ والتوصل ص ١٩١ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبد الله المعتق

فكيف على الخالق؟! وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من حلف بغير الله فقد أشرك))^{(١)(٢)}.

وقال ابن تيمية (وأما القسم الثالث مما يسمى توسلاً ... وهو الإقسام على الله عز وجل بالأنبياء والصالحين ، أو السؤال بأنفسهم فإنه لا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ثابتاً لا في الإقسام أو السؤال به ولا في الأقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين ... وقد ثبت أنه لا يجوز القسم بغير الله لا بالأنبياء ولا بغيرهم ... فإذا لم يجز أن يحلف بها الرجل ولا يقسم بها على مخلوق فكيف يقسم بها على الخالق جل جلاله)^(٣) .

الوجه الثاني : أن فيه تعظيماً للمخلوق :

ذلك أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وبما أن المحلوف به يكون أعظم من المحلوف عليه فإن في هذا القسم رفعاً للمخلوق فوق منزلة الخالق ، ومساواة المخلوق بالخالق شرك فكيف لو جعلناه أعظم منه .

قال النووي: (قال العلماء : الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله

(١) سبق تحريجه .

(٢) شرح الطحاوية ص ٢٦٢ .

(٣) قاعدة جليلة ص ١٠٦ وانظر ص ١٤٤ .

تعالى فلا يضاهي به غيره^(١).

ثانيا : عرض ما تيسر من شبهات^(٢) من قال بهذا النوع من التوسل مع المناقشة.

لقد تمسك من قال بهذا النوع من التوسل بشبهات عقلية وعقلية منها ما يلي :

أولاً : شبهاتهم فيما استدلوا به من القرآن ومن ذلك ما يلي :
 الشبهة الأولى : قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣) ،
 يقول الزهاوي^(٤) : (لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل : منها قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾^(٥) ...
 إلى أن قال : بل ظاهر الآية تخصيصها الذوات...^(٦) .

الجواب : يقال لهم الآية حجة عليكم لا لكم ، ذلك أن المراد

(١) شرح صحيح مسلم ج ١١ ص ١٠٥ ، وانظر الفتاوي ج ١ ص ١٩١ .

(٢) جمع شبهة وهي دليل أو استدلال باطل .

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٥ .

(٤) هو جميل أفندي صدقي الزهاوي أطلق عليه ابن سحمان العراقي أثناء رده عليه في كتابه الضياء الشارق - انظر : التعريف به في الضياء الشارق ص ٧

والأعلام ج ٢ ص ١٣٧ .

(٥) سورة المائدة، الآية ٣٥ .

(٦) الضياء الشارق ص ٤٨٧ .

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

بالوسيلة فيها : هي : التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه ^(١) .
يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يقول سبحانه وتعالى
أمراً عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها
الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقد قال بعدها (وابتغوا إليه
الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس :
أي القربة . وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن ... وعبد الله بن
كثير والسدي وابن زيد وغير واحد . وقال قتادة : أي تقربوا إليه
بطاعته والعمل بما يرضيه ... وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف
بين المفسرين فيه) ^(٢) .

وقال ابن جرير : (وابتغوا إليه الوسيلة) : واطلبوا القربة إليه
بالعمل بما يرضيه ... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل (ثم
روى عن مجموعة منهم - أبو وائل وعطاء ، وقتاة ، ومجاهد ، وعبد الله
بن كثير - كلهم يقولون بهذا القول) ^(٣) .

فإذا كان المراد بالوسيلة في الآية : هي التقرب إلى الله
بالأعمال الصالحة ، فالآية حجة في إثبات شرعية التوسل بالأعمال
الصالحة لا ما زعمتم من التوسل بالذوات ونحوها .

(١) انظر : مجموع الفتاوى ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٢ .

(٣) تفسير الطبري ج ٦ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

الشبهة الثانية : قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴿١﴾ .

يقول الزهاوي في معرض استدلاله بهذه الآية (إن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أرباب ، فيقول الله لهم : أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله .من هو أقرب ، فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون إليه .من هو أعلى مقاماً منهم) (٢) .

الجواب : يقال لهم استدلالكم باطل ؛ ذلك أن المراد بالوسيلة التي أخبر الله بأن الذين يدعوهـم المشركون أرباباً يبتغونها إليه ؛ لأنهم أهل الإيمان به .

هي - كما قال شيخ الإسلام (٣) ما يتقرب به إلى الله من الواجبات والمستحبات . فهي قربة بطاعة أمر الله بها عباده .

قال الشوكاني : (... ولا خلاف في يبتغون أنها بالتحية والوسيلة القرية بالطاعة والعبادة) (٤) .

(١) سورة الإسراء، الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) انظر : الضياء الشارق ص ٤٩٧ .

(٣) قاعدة جلية ص ٤٨ .

(٤) فتح القدير ج ٣ ص ٢٣٧ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وقال الشنقيطي - في تفسير هذه الآية - (وقد قدمنا في سورة المائدة أن المراد بالوسيلة في هذه الآية الكريمة وفي آية المائدة هو التقرب إلى الله بالعمل الصالح)^(١)

وعليه فإنها لا تشمل شيئاً من التوسل الممنوع؛ إذ لم يأمر به الله . يؤكد ذلك أنه لم يعمل به الصحابة ومن أتى بعدهم من القرون المفضلة الذين هم أعلم هذه الأمة بكتاب الله، ولو كان في هذه الآية أو غيرها دلالة عليه لعملوا، به أیضل عنه الصحابة ويهتدي إليه هؤلاء المتأخرون .

إضافة إلى ما ذكرت - فإن طائفة من المشركين كانوا يدعون الملائكة والأنبياء ، وقيل يدعون الجن. فأنزل الله هاتين الآيتين إنكاراً عليهم ذلك، لذا فهما تتضمنان النهي عن دعاء غير الله^(٢) . والآية الأولى كما قال شيخ الإسلام .

قصد بها بالتعميم لكل ما يدعى من دون الله ، فكل من دعى ميتاً أو غائباً من الأنبياء أو الصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية .

(١) أضواء البيان ج ٢ ص ٣١٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٦ ، ٤٧ وتفسير الشوكاني ج ٣ ص ٢٣٧ وقاعدة جلية ص ١١٧ والقول الفصل النفيس ص ٤١ والضياء الشارق ص ٤٩٤ .

كما تتناول من دعى الملائكة والجن ؛ إذ أنه شرك أو ذريعة إلى الشرك^(١).

وعليه فإن من توسل بدعاء ميت فإن هذا النهي يتناوله ؛ إذ فيه دعاء لغير الله وهو دعاء الميت وذلك ذريعة إلى الشرك .

يقول شيخ الإسلام - في تعليقه على هذه الآية :- (قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادي كما أنتم عبادي ، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، ويتقربون إلي كما تتقربون إلي . فنهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء ... ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم .. بخلاف الطلب من أحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك)^(٢).

وقال أيضاً - بعد أن ذكر هذه الآية : (... ومثل هذا كثير في القرآن ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك)^(٣).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - في تعليقه على هذه الآية :-

(١) انظر : مجموع الفتاوي ج ١٥ ص ٢٢٦ وقاعدة جلية ص ٣٣.

(٢) قاعدة جلية ص ١٣٦ ، ١٣٧.

(٣) قاعدة جلية ص ٣٣.

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

(وأما ادعاء المنحرفين عن الإيمان من أن الوسيلة هي التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين فهذا باطل يناقض ما ذكره الله تعالى في أول الآية من تهديد من دعاهم وإنكاره عليهم دعوتهم)^(١).

مما ذكر اتضح أن الآيتين إنما تدلان على التقرب إلى الله بالعمل الصالح وهو توسل مشروع كما تدلان على النهي عن التوسل بدعاء الميت وهو من أنواع التوسل الممنوع وعليه فالآيتان حجة عليهم لا لهم .

الشبهة الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾^(٢).

يقول الزهاوي - بعد أن ذكر هذه الآية مستدلاً بها - (فقد علق الله تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم ...)^(٣).

الجواب : يقال لهم : استدلالكم خاطئ.

فالآية إنما ترشد إلى توسل مشروع وهو التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم حال حياته .

يدل على ذلك ما يلي :

(١) القول الفصل النفيس ص ٤٢ .

(٢) سورة النساء، الآية ٦٤ .

(٣) الضياء الشارق ص ٥٠٤ .

أولاً : قوله (جاءوك) فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل، أما المجيء إلى قبره فإنه ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً. ولا يفهم من هذا اللفظ - بحسب اللغة والعرف - إلا المجيء إليه في حياته الدنيوية المعهودة^(١). ولذا لم يفهم من هذه الآية أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم^(٢).

ثانياً : قوله (واستغفر لهم الرسول) . واستغفاره صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا في حياته؛ ذلك أن الاستغفار كغيره من الأعمال ينقطع بعد الموت لانقطاع التكليف عنه^(٣). قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له))^(٤). ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشملته الحديث لأنه من الإنسان^(٥).

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) الصارم المنكي ص ٤٢٥ (بتصرف) .

(٣) انظر : قاعدة جلييلة ص ١٣٧ وتيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٤ .

(٤) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي - انظر : جامع الأصول حديث

. ٨٧١٢

(٥) انظر : الجواب المختار ص ٥١ .

ثالثاً : أنه لو كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لمن جاءه مستغفراً بعد موته مشروعاً لأمر به أمته ورغبهم فيه ولكان الصحابة وتابعوهم بإحسان أرغب شيء فيه وأسبق إليه، فهم أحرص هذه الأمة على الإلتزام بأمر الله سبحانه، وأشدّهم تعظيماً لنبيها ومعرفة لقدرته، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل؛ إذ لم ينقل عن أحد منهم قط بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ولا شكاً إليه ولا سأله^(١). كل ذلك يؤكد أنها خاصة في حياته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومنهم من يتأول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢). ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم)^(٣).

وقال الشيخ ابن سعدي - في تفسير هذه الآية - (... وهذا المحيىء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك، لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته،

(١) الصارم المنكي ص ٤٢٨ (بتصرف) وانظر : قاعدة جلييلة ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) سورة النساء، الآية ٦٤ .

(٣) قاعدة جلييلة ص ١٩ .

وأما بعد موته، فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك^(١).
وقال ابن عبد الهادي الحنبلي (... وأما دلالتها على المجيء
إليه في قبره بعد موته فقد عرف بطلانه)^(٢).

مما ذكر اتضح أن الآية لا تدل على المجيء إلى قبر النبي صلى
الله عليه وسلم وطلب الاستغفار والشفاعة منه، أو التوسل بذاته.
وإنما تدل على توسل مشروع وهو التوسل بدعائه صلى الله عليه
وسلم حال حياته .

الشبهة الرابعة : قوله تعالى : ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣).

وجه الدلالة : قالوا في هذه الآية وعد للمصدقين وهم الأولياء
بأن لهم ما يشاءون عند ربهم، فيدخل في ما يشاءونه من الله تلبية
من توسل بهم من العباد^(٤).

يقول محمد الفقي (... وكيف لا يستعان بمن هذه صفتهم
ولا يطلب العون ممن هذا حالهم، وقد قال تعالى: ﴿ هُمْ مَا
يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ﴾^{(٥)(٦)}.

(١) تفسير ابن سعدي ج ٢ ص ٤٤.

(٢) الصارم المنكي ص ٤٢٩.

(٣) سورة الزمر، الآية ٣٤ .

(٤) انظر : القول الجلي ص ٣٧، والتوسل والزيارة ص ١٩٥.

(٥) سورة الزمر، الآية ٣٤ .

(٦) التوسل والزيارة ص ١٩٧.

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

الجواب : يقال لهم : أولاً: لنقرأ الآية التي قبلها والتي بعدها،

وماذا قيل فيها ؟

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣) هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٣٤ ﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣٤) (١).

قيل الآية خاصة (والذي جاء بالصدق) : قيل هو جبريل،
وقيل محمد. والذي صدق به : قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
أبو بكر، وقيل المؤمنون، وقال النخعي: (الذي جاء بالصدق
وصدق به هم المؤمنون الذي يجيئون بالقرآن يوم القيامة) (٢).

وقيل : هي عامة عني بها كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق
رسوله والعمل بما ابتعث به رسوله صلى الله عليه وسلم وهو ما اختاره
كثير من المفسرين، كابن جرير، وابن سعدي والشوكاني (٣).

فيكون المراد من الآية أن كل من آمن بالله وعمل صالحاً فله
ما يشاء عند ربه، وعليه فهي ليست خاصة جماعة بعينهم - كما

(١) سورة الزمر، الآيات ٣٣ - ٣٥ .

(٢) تفسير الشوكاني ج ٤ ص ٤٦٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٣ وتفسير الطبري ج ٢٤ ص ٣ ، ٤ ،
وتفسير ابن سعدي ج ٧ ص ٣٣، وتفسير الشوكاني ج ٤ ص ٤٦٣ .

يزعمون - .

ثانياً : المراد بقوله (لهم ما يشاءون) في الآخرة لا في الدنيا .
بدليل قوله (عند ربهم) .

يقول ابن جرير (لهم عند ربهم يوم القيامة)^(١) وبدليل
قوله تعالى: ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ
بِهِمْ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا
يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾^(٢) ^(٣) .

وعليه فإن تلبية من توسل بهم لا تدخل في ما يشاءونه؛ لأنها
من أمور الدنيا.

ثالثاً : على فرض دخول الأمور الدنيوية في ما يشاءونه فإن
هؤلاء المحسنين كانوا يدعون إلى توحيد الله والعمل بما يرضيه.
ولذلك وصفهم بالمتقين، وهم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من
الأوثان والأنداد وأداء الفرائض واجتناب المعاصي^(٤). ومن كان
كذلك فلن يشاء الشرك أو شيئاً من وسائله. وبذلك يتضح بطلان
استدلالهم بالآية .

(١) تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٤ .

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٢ .

(٣) انظر القول الجلي ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٤ .

الشبهة الخامسة : استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾^(١) .
وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٢) ، قالوا : الآيتان تفيدان أن الأولياء أحياء بعد قتلهم وما داموا كذلك فيجوز نداؤهم والتوسل بهم كالأحياء في الدنيا^(٣) .

يقول محمد الفقي : (وحيث ثبتت حياة المتوفى في البرزخ بما أوردناه وبقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ جاز طلب العون منهم ...)^(٤)

الجواب : يقال لهم هاتان الآيتان نزلتا في حق الشهداء^(٥) :

فالأية الأولى : توجيه للمؤمنين أن لا يقولوا لمن يقتل في سبيل الله هو ميت . فإن الميت من سلب حياته وأعدمت حواسه فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً، أما من قتل في سبيل الله فإنهم في حياة

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٤ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩ .

(٣) انظر : إتحاف الأذكياء ص ١٣ ، ١٤ وتطهير الجنان ص ٥٩ والبروق النجدية ص ٣٠ .

(٤) التوسل محمد الفقي ص ١٨٨ .

(٥) انظر : أسباب النزول للسيوطي بها مش (تفسير وبيان) ص ٤٣ ، ص ١١٠ ، ١٠٩ .

ونعيم فرحين بما آتاهم الله من فضله .

والآية الثانية : إخبار من الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار كما جاء في صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل الحديث)^(١). وعليه فالآيتان إنما تفيدان أن الشهداء أحياء بعد قتلهم حياة برزخية لا يعلم كونها إلا الله سبحانه لا تقاس بالحياة الدنيا ولا تعطى أحكامها .

بل إن فيما زعمتم مصادمة لكتاب الله ؛ لأن الله يقول ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾^(٢) فلم يجعلهما الله سواء بل فرق بين الأحياء والأموات^(٣) وإذا لم يكونوا سواء فإنه يبطل قياس حياة

(١) رواه مسلم في الإمامه، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. انظر : جامع الأصول حديث ٧٢١٣.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٢ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، وتفسير ابن جرير ج ٤ ص ١١٣ ، ج ٢٢ ص ٨٥ والقول الفصل النفيس ص ٣٦ والتوسل للألباني ص ٦٥ ، ٦٦ وتطهير الجنان ص ٦٤ - ٧٠ (المتن والحاشية) .

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

الأموات على حياة الأحياء ، وعليه فتبطل هذه الشبهة .
ثانياً : شبهاتهم فيما استدلوا به من السنة، ومن أقوال وأفعال
الصحابة والتابعين .

وهي : إما استشهاد في غير محله، أو حديث أو أثر ضعيف أو
موضوع . منها ما يلي :

الشبهة الأولى : حديث استسقاء عمر بالعباس الذي مر
ذكره في أدلة أهل السنة على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي.
وهو ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب
فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم
نبينا فاسقنا. قال : فيسقون (^١) .

وجه استدلالهم : قالوا : ورد في الحديث (اللهم إنا كنا
نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) .
قالوا : المراد بعم نبينا - أي بجاهه - فهم فهموا أن توسله
بالعباس كأنه مجرد ذكر منه للعباس في دعائه، وطلب منه لله أن
يسقيهم من أجله وقد أقره الصحابة على ذلك، فأفاد بزعمهم ما
يدعون .

(١) سبق تخريجه .

وعللوا : عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى التوسل بالعباس صلى الله عليه وسلم - لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل^(١).

يقول أحمد دحلان - بعد أن أورد هذا الحديث مستدلاً به - :
(وإنما خص عمر العباس من دون سائر الصحابة رضي الله عنهم لإظهار شرف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبیان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل)^(٢).

ومثل ذلك قال محمد الفقي - بعد أن أورده مستدلاً به^(٣).
الجواب : يقال لهم : استدلالكم خاطيء فإن عمر رضي الله عنه والصحابة إنما توسلوا بدعاء العباس. ويدل على ذلك أمور منها :
١ - أن عمر صرح بأنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وفي هذه الحادثة بالعباس .

ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد وإذا تبين للقارئ - مما يأتي - أن توسلهم به صلى الله عليه وسلم إنما كان بدعائه، فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو توسل بدعائه ، ومما يؤكد

(١) التوسل للألباني ص ٥٥ ، ٥٦ وانظر : الدرر السنية ص ١٠ - ١٢ والتوسل

محمد الفقي ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) الدرر السنية ص ١٠ - ١٢ .

(٣) انظر : التوسل محمد الفقي ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

أن توسلهم به صلى الله عليه وسلم في حياته إنما كان بدعائه صريح رواية الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ : ((كانوا إذا قحطوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم استسقوا به فيستسقي لهم فيسقون، فلما كان في إمارة عمر...) فذكر الحديث^(١). فقلوه (فيستسقي لهم) صريح في أنه صلى الله عليه وسلم كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى . وهذا هو التوسل بدعائه. كذلك حديث الأعرابي الذي دخل المسجد - والرسول صلى الله عليه وسلم يخطب - وشكا له الجذب، ونحوهما. كل ذلك يدل على أن توسلهم به صلى الله عليه وسلم في حياته إنما كان بدعائه .

٢- ما ورد في بعض روايات هذا الحديث الصحيحة أن العباس لما استسقى به عمر دعا. يقول ابن حجر في الفتح : (وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة ... وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فأسقنا الغيث))^(٢) .

هذه الرواية تدل على أنهم توسلوا بدعاء العباس لا بذاته، إذ

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٥ .

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٧ .

لو كان التوسل بذاته أو جاهه لما كان هناك حاجة ليقوم العباس فيدعو بعد عمر بهذا الدعاء .

٣- لو كان توسلهم بالعباس - بذاته أو جاهه - لما عدلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى العباس؛ إذ ذاته صلى الله عليه وسلم أفضل وجاهه أعظم من جاه العباس. لكن لما كان بدعائه. والرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يدعو لهم لو فاته عدلوا إلى حي فاضل، فاختاروا العباس؛ لفضله رضي الله عنهم^(١).

قال ابن تيمية: (ودعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار وقوله (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا ...) يدل على أن التوسل المشروع - عندهم - هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته ؛ إذ لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس)^(٢).

كل ما ذكرنا يدل دلالة واضحة على أن توسل الصحابة بالعباس إنما كان بدعائه .

(١) انظر : قاعدة جلية ص ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٩ ، والفتاوي ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، والتوسل للألباني ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٠ ، وروح المعاني ج ٦ ص ١٢٦ ، ١٢٧ وصيانة الإنسان ص ١٤٢ - ٢١٣ ، وشرح الطحاوية ص ٢٦٣ .

(٢) قاعدة جلية ص ٦٤ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وأما قولهم : أن عمر رضي الله عنه، عدل عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى التوسل بالعباس؛ لبيان جواز التوسل بالمفضل مع وجود الفاضل .

فنقول : كلام مردود من وجوه، منها :

الأول : أنه ليس من المعقول أن الصحابة يقرون عمر على ترك التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم - لو كان ممكناً - إلى التوسل بعمه ، ولن يقبل العباس أن يتركوا التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم - لو كان ممكناً - إلى التوسل به ؛ إذ في ذلك ترك للسنّة المشروعة وعدول عن الأفضل، أضف إلى ذلك أنهم رضي الله عنهم يعرفون قدر نبيهم صلى الله عليه وسلم ومكانته وفضله معرفة لا يدانيهم فيها أحد ، فلن يؤثروا عليه أحداً لو كان ممكناً لأي سبب من الأسباب .

الثاني : أن سؤال الله بأضعف السببين إنما يكون في وقت الرخاء. أما في وقت الشدة فالناس أحرص على أكبر وسيلة لزوالها. وعام الرمادة معلوم ما أصاب المسلمين فيه من شدة .

الثالث : لنفرض أن الذي حمل عمر على ترك التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى التوسل بعمه ما زعموه ، فما الذي حمل معاوية والضحاك بن قيس عندما توسلا بيزيد بن الأسود الجرشي. وأيضاً لو كان الأمر كذلك لفعل عمر ذلك مرة

واحدة ولما استمر عليه كلما استسقى بدليل ما ورد في هذا الحديث من قوله: (إن عمر ابن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ...) فإن في هذا إشارة إلى تكرار استسقاء عمر بالعباس^(١). كل ما ذكرت يؤكد بطلان استدلالهم بهذا الحديث على التوسل بالجاء أو غيره من التوسل الممنوع .

الشبهة الثانية : حديث الضرير - وهو ما روي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضريراً البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني. فقال : (إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك فهو خير) وفي رواية (وإن شئت صبرت فهو خير لك)، فقال : ادعه : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في) قال : ففعل الرجل فبرأ^(٢). وقد استدل به السبكي^(٣)، والزهراوي^(٤)، وأحمد دحلان^(٥)

(١) انظر : التوسل للألباني : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ . وقاعدة جليلة ص ٦٥ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣١ ، وروح المعاني ج ٦ ص ١٢٦ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر : شفاء السقام ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) الضياء الشارق ص ٥٣٧ .

(٥) الدرر السنية ص ٨ ، ٩ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

على جواز التوسل بالذات أو الجاه وجه استدلالهم : قالوا الحديث يدل على جواز التوسل بذات أو جاه النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الصالحين ، إذ فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه. حيث أمره أن يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك ...) وقد فعل الأعمى ذلك فبرأ^(١).

يقول الزهاوي : بعد أن ساق هذا الحديث (فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الضير أن يناديه ويتوسل به إلى الله في قضاء حاجته)^(٢). ويقول أحمد دحلان : (ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي... ثم ساق الحديث وقال : ففي هذا الحديث التوسل والنداء أيضا)^(٣).

الجواب : يقال لهم استدلالكم بهذا الحديث على جواز التوسل بذات أو جاه النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره. استدلال خاطيء - فالحديث إنما يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي لا غير. وذلك لما يلي :

١ - أن الأعمى إنما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له بدليل قوله : (ادع الله أن يعافيني) ولو كان قصده التوسل بذاته

(١) انظر : التوسل للألباني ص ٧٦.

(٢) الضياء الشارق ص ٥٣٧.

(٣) الدرر السنية ص ٨.

صلى الله عليه وسلم أو جأه لما احتاج منه المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل ممكن أن يتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو جأه وهو في بيته أو في أي مكان. فمجيئه وطلبه من الرسول أن يدعو له دليل واضح على أنه إنما توسل بدعائه صلى الله عليه وسلم .

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم خيره بين الدعاء وبين أن يصبر مع بيان فضيلة الصبر ونصحه به - حيث قال : (إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت فهو خير لك) .

٣- إصرار الأعمى على الدعاء بقوله - ادعه .

فهذا يدل على أنه اختار الدعاء ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له؛ لأنه وعده بقوله : إن شئت دعوت لك - وقد شاء الدعاء وأصر عليه - فإذا لا بد أنه صلى الله عليه وسلم قد دعا له . فهو خير من وفى بما وعد. ولحرصه صلى الله عليه وسلم على أن يستجيب الله دعاءه له وجهه إلى عمل صالح يقدمه بين يدي دعائه صلى الله عليه وسلم ليكون أخرى بالقبول - حيث أمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه بدعاء علمه الرسول صلى الله عليه وسلم إياه .

٤- ورد في الدعاء الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم إياه (اللهم فشفعه فيّ) وهذا صريح في أن الرسول صلى الله عليه وسلم

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وسلم قد دعا له وأن توسله إنما كان بدعائه. فهو يدعو أن يقبل الله دعاء نبيه له فقلوله (اللهم فشّعه فيّ) معناه : اللهم اقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم - أي اقبل دعاءه - في أن ترد عليّ بصري. ولو كان توسل بذاته أو جاهه ، لم يكن لهذا فائدة ولا معنى في الحديث. وهذا مردود كذلك ما يستلزمه. قال شيخ الإسلام - بعد أن ذكر الحديث - (فهذا توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال: (وشفعه فيّ) فسأل الله أن يقبل شفاعته رسوله فيه وهو دعاؤه)^(١).

هـ- أن هذا الحديث قد ذكره العلماء في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه المستجاب مما يدل على أن التوسل فيه توسل بالدعاء. وأن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (... فإنه صلى الله عليه وسلم ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ...)^(٢) أما ما تضمنه الدعاء من قوله (أسألك بنبيك) فالمراد بدعاء نبيك بدليل طلبه من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو له وبدليل قوله في دعائه (اللهم فشّعه فيّ) فهذا يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم سيدعو له. فهو

(١) قاعدة جليّة ص ٩٢.

(٢) الفتاوى ج ١ ص ٢٦٦.

دعاء في أن يقبل الله دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له - كما تقدم بيانه آنفاً .

أضف إلى ذلك أن التوسل بالشخص في مفهوم الصحابة وعرفهم إنما هو طلب الدعاء منه حال حياته، أما التوسل بالجاه أو الذات فهم لا يقرونه؛ لأنه من مفاهيم الجاهلية التي بعث صلى الله عليه وسلم لأجل القضاء عليها، وعليه فالحديث إنما يدل على التوسل بالدعاء، لا بالجاه أو الذات - كما يزعمون ^(١) .

قال شيخ الإسلام: (وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه ، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته) ^(٢) .

الشبهة الثالثة : ما روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : قال : من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب

(١) انظر : التوسل للألباني ص ٧٦ - ٨١ والفتاوي ج ١ ص ١٤٣ ، ٢٨٥ وقاعدة جليلة ص ٩٢ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٥ ، ٤١٦ والضيء الشارق ص ٥٤٠ والأسنة الحداد ص ٢٣١ .

(٢) قاعدة جليلة ص ٦٤ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

إلا أنت) أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك^(١).

وقد استدلل به أحمد دحلان، والزهاوي ومن وافقهما على جواز التوسل بكل عبد مؤمن .

يقول أحمد دحلان - بعد أن ساق الحديث - فانظر قوله (بحق السائلين عليك) فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن^(٢).

ويقول الزهاوي بعد أن ساق الحديث: (فقد توسل النبي عليه الصلاة والسلام في قوله : (إني أسألك بحق السائلين عليك) بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله^(٣) .

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث شديد الضعف فلا يحتاج به؛ لأنه من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري. وفضيل وعطية : كلاهما ضعيف .

فأما فضيل فقد ضعفه أبو حاتم والنسائي والحاكم، وقال ابن

(١) رواه ابن ماجة برقم ٧٧٨ في المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة وأحمد في المسند برقم ١١١٥٦ وإسناده ضعيف انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ١ ص ٣٤ - ٣٧. ومسند الإمام أحمد ج ١٧ ص ٢٤٨ (الحاشية) وجامع الأصول ج ٤ ص ٣١٨ (الحاشية) .

(٢) انظر الدرر السنية ص ٦ ، ٧ .

(٣) الضياء الشارق ص ٥٣٢ .

حبان: (يخطيء على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات) وقال الرازي : لا يحتج به ^(١) .

وأما عطية بن سعد فقال ابن تيمية والذهبي مجمع على ضعفه ^(٢) ، وأورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين ^(٣) . وقال ابن حجر كان شيعياً مدلساً ^(٤) .

وقال ابن حبان : (سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي فإذا قال الكلبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظ ذلك ورواه عنه وكناه أبا سعيد فيظن أنه أراد (الخدري) وإنما أراد (الكلبي) لا يحل كتب حديثه : إلا على التعجب ^(٥) .

والكلبي : هو محمد بن السائب أحد المعروفين بالكذب في الحديث ^(٦) .

(١) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج ٢ ص ٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة ج ١ ص ٣٤ ، ٣٥ وصيانة الإنسان ص ١٠٤ وميزان الاعتدال ج ٥ ص ٤٤٠ .

(٢) قاعدة جلية ص ١٠٧ وديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ج ٢ ص ١٥٩ وانظر ميزان الاعتدال ج ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٣) قاعدة جلية ص ١٠٧ وديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ج ٢ ص ١٥٩ وانظر ميزان الاعتدال ج ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٤ .

(٥) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج ٢ ص ١٨٠ .

(٦) انظر : صيانة الإنسان ص ١٠٦ والتوسل للألباني ص ١٠٤ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وعلى هذا فعطية شيعي مدلس مجمع على ضعفه - فلا يحتاج بروايته .

وقد روي من طريق آخر - مع اختلاف يسير في اللفظ - أخرجه أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٨٤ من طريق الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عن بلال رضي الله عنه ^(١). وهو حديث ضعيف أيضاً : كما قال النووي وابن تيمية ^(٢)؛ ذلك أن في سنده الوازع وهو ضعيف الحديث جداً ليس بشيء كما قال أبو حاتم وأبو زرعة بل قال الحاكم : روى أحاديث موضوعة، وكذا قال غيره وقال ابن عدي : عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ .

وقال النووي والهيثمي متفق على ضعفه، وقال أحمد وابن معين ليس بثقة ^(٣).

وعليه فلا يحتاج بالحديث على كلا الروايتين .

ثانياً : على فرض صحة الحديث فإنه لا يؤيد مدعاهم؛ ذلك أنه توسل بحق السائلين، وبحق ممشاه إلى المسجد - وهو حق العابدين -

(١) انظر : عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا خرج إلى الصلاة ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) انظر : الأذكار للنووي ص ٣٢ وقاعدة جليلة ص ١٠٧ .

(٣) انظر : الأذكار النووية ص ٣٢ والجرح التعديل ج ٩ ص ٣٩ وسلسلة

الأحاديث الضعيفة ج ١ ص ٣٧ ، ٣٨ وجامع الأصول ج ٤ ص ٣١٨

(الحاشية) وقاعدة جليلة ص ١٠٧ وصيانة الإنسان ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وحق السائلين أن يجيبهم، وحق العابدين أن يشيهم. وهما مما جعله على نفسه حقاً تكريماً وفضلاً. قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٣).

وفي الصحيح من حديث معاذ: (... حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم)^(٤) فيكون السائل - هنا - قد توسل بالإجابة، والإجابة التي هي من صفات الله الفعلية والتوسل بأسماء الله وصفاته مشروع قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٥) ^(٦).

قال ابن تيمية: (وهذا الحديث هو من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد وهو ضعيف بإجماع أهل العلم وقد روي من طريق آخر

(١) سورة الروم، الآية ٤٧ .

(٢) سورة غافر، الآية ٦٠ .

(٣) سورة الزلزلة، الآية ٧ .

(٤) رواه البخاري في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله ومسلم برقم ٣٠ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، انظر: جامع الأصول حديث ٧٠٠٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٨٠ .

(٦) انظر: الضياء الشارق ص ٥٣٣ وكشف غياهب الظلام ص ٢٦٣ وصيانة الإنسان ص ١٢٧ (الحاشية) وروح المعاني ج ٦ ص ١٢٧ والتوسل للألباني ص ١٠٩.

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وهو ضعيف أيضاً ولفظه لا حجة فيه فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم وهو حق أحقه الله تعالى على نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم^(١).

الشبهة الرابعة : عن أبي أمامة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء : اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد... أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك... الحديث)^(٢) ^(٣).

وجه استدلالهم : أنه ورد فيه سؤال بحق السائلين - فدل على جواز السؤال بكل عبد مؤمن - كالحديث السابق .

الجواب : يقال لهم هذا الحديث لا يحتاج به لضعفه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني - وفيه فضالة بن جبير، ضعيف مجمع على ضعفه)^(٤)، وقال ابن عدي (ولفضالة عن أبي أمامة قدر عشرة أحاديث كلها غير محفوظة)^(٥) وروى الكنانى عن

(١) قاعدة جليلة ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ٨ ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣) روى هذه الشبهة عنهم الشيخ محمد بشير ، والشيخ الألباني ، انظر : صيانة الإنسان ص ١٢٩ والتوسل للألباني ص ١١٠ .

(٤) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢٠ .

(٥) الكامل لابن عدي ج ٦ ص ٢١ .

أبي حاتم الرازي قال : (ضعيف الحديث)^(١).

وقال ابن حبان : (لا يحل الاحتجاج به بحال : يروي أحاديث لا أصل لها)^(٢).

وقال الألباني : (الحديث شديد الضعف فلا يجوز الاستشهاد به)^(٣).

وعلى هذا فالحديث شديد الضعف فلا يحتج به . ولو فرض صحته فإن قوله : (وبحق السائلين عليك) إنما هو سؤال بالإجابة، وهي من صفات الله الفعلية . والتوسل بصفات الله مشروع^(٤). وعليه فلا دلالة في الحديث على شيء من التوسل الممنوع .

الشبهة الخامسة : عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري... يحفرون قبرها... فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال : (الحمد لله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، وأوسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي،

(١) صيانة الإنسان ص ١٣٠.

(٢) صيانة الإنسان ص ١٣٠.

(٣) التوسل للألباني ص ١١٠.

(٤) انظر : كشف غياهب الظلام ص ٢٦٣ وسلسلة الأحاديث الضعيفة ج ١ ص ٤٦.

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

فإنك أرحم الراحمين... الحديث (رواه الطبراني^(١) .
ومن استدل به أحمد دحلان^(٢) والزهاوي^(٣) والعظمي^(٤)
وموسى محمد علي^(٥) .

وجه الاستدلال : قالوا ورد في الحديث (وأوسع عليها
مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي...) وفي ذلك توسل
بذاته وبإخوانه النبيين^(٦) .

يقول موسى محمد علي (ففي هذا الحديث... توسله عليه
الصلاة والسلام إلى ربه بذاته... وبإخوانه من النبيين...)^(٧) .

الجواب : يقال لهم الحديث غير صحيح^(٨) ، لأن في سنده
روح بن صلاح وقد تفرد به كما قال أبو نعيم^(٩) . واتفقت عبارات
كثير من أئمة الجرح على تضعيف روح .

(١) في المعجم الكبير ج ٢٤ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ برقم ٨٧١ والأوسط ج ١ ص
١٥٢ ، ١٥٣ برقم ١٩١ .

(٢) انظر : الدرر السنية ص ٧ .

(٣) انظر : الضياء الشارق ص ٥٣٥ .

(٤) انظر : كشف غياهب الظلام ص ٢٦٧ .

(٥) انظر حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩ .

(٦) انظر : الدرر السنية ص ٧ وحقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩ .

(٧) حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩ .

(٨) انظر : التوصل ص ٢٣٥ .

(٩) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٢١ .

يقول ابن عدي: (روح بن صلاح ... ضعيف) وقال الدارقطني : ضعيف في الحديث وقال ابن ماکولا (ضعفوه) وقال أبو يونس : رويت عنه مناكير .

وقال ابن عدي - بعد أن خرج له حديثين - (ولروح ... أحاديث ليست بالكثيرة ... وفي بعض حديثه نكرة)^(١). وذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين^(٢).

وقال الشيخ الألباني: - بعد أن ذكر كلام بعض الأئمة فيه - (... فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيف هذا الرجل وبينوا أن السبب روايته المناكير فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكراً لا يحتج به)^(٣).

وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري: (هذا الحديث لا يصح دراية فإن صيغة متنه وركاكة ألفاظه وما فيه من المبالغة مما يدل على عدم ثبوته، زيادة على غرابته وما في سنده من الضعف الذي تكلم عليه المؤلف)^(٤).

مما ذكر اتضح أن الحديث لا يصح دراية ولا رواية وإنما هو

(١) انظر الكامل لابن عدي ج ٣ ص ١٤٦ ولسان الميزان ج ٢ ص ٥٧٣، ٥٧٤.

(٢) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج ١ ص ٢٨٧ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ١ ص ٣٣ وانظر التوسل للألباني ص ١١١ .

(٤) انظر : صيانة الإنسان ص ١٢٩ (المتن والحاشية) .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

منكر لا يحتاج به والله أعلم .

الشبهة السادسة : عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : (لما

اقترب آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله : يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله - فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي. ادعني ^(١) بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك) أخرجه الحاكم ^(٢).

يقول أحمد دحلان (وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها) ^(٣) ثم ساق الحديث.

٤- الجواب : يقال لهم :

٥- أولاً : الحديث موضوع - كما قال الذهبي ^(٤) وغيره - فلا

تقوم به حجة .

(١) كذا في المستدرک وفي شفاء السقام وإذ سألتني بحقه.

(٢) المستدرک ج ٢ ص ٦١٥.

(٣) الدرر السنية ص ٩.

(٤) التلخيص للذهبي (حاشية المستدرک ج ٢ ص ٦١٥.

٦- يقول الذهبي : (عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خيراً باطلاً فيه) (يا آدم لولا محمد ما خلقتك) ^(١) ، وكذا قال الحافظ ابن حجر في اللسان ^(٢) .

٧- وقال البيهقي : (إنه تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) وهو متهم بالوضع رماه بذلك الحاكم ^(٣) .

٨- ولا نغتر برواية الحاكم لهذا الحديث - فإنه مما أنكره عليه العلماء وعدوه تناقضاً منه .

٩- يقول ابن تيمية (ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه .

١٠- قلت ^(٤) : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم ، وقال أبو حاتم بن حبان : كان

(١) ميزان الإعتدال ج ٤ ص ١٩٩ .

(٢) ج ٣ ص ٤٤٢ .

(٣) التوسل للآلبناني ص ١١٧ .

(٤) ابن تيمية .

يقلب الأخبار وهو لا يعلم ، حتى كثر ذلك من روايته ... فاستحق الترك. وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا ما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث ^(١).

١١ - ومما يؤكد بطلان هذا الحديث أنه يخالف كتاب الله في

موضعين :

الأول : أنه تضمن أن الله غفر لآدم بسبب توسله بمحمد صلى الله عليه وسلم، والله يقول: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢).

وقد جاء تفسير هذه الكلمات عن ابن عباس بما يخالف هذا الحديث - فقد أخرج الفريابي وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال : أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى : قال أي رب ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى : قال أي رب ألم تسبق إلي رحمتك قبل غضبك ؟ قال : بلى : قال : أي رب ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى : قال : أي رب أرايت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم، قال :

(١) قاعدة جليلة ص ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٧ .

فهو قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) ^(١)

وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ^{(٢) (٣)}.

وأخرج الثعلبي، وابن المنذر عن ابن عباس في قوله : (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال : قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد مثله، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن والضحاك مثله، وأخرج ابن جرير عن مجاهد وقتادة وابن زيد مثله، وبهذا قال كثير من المفسرين كابن جرير، وابن سعدي، والسيد محمد رشيد رضا، وأبي بكر الجزائري ^(٤).
ويؤيده قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٥).

(١) تفسير الشوكاني ج ١ ص ٧١ والمستدرک ج ٢ ص ٥٤٥ وانظر : تفسير

ابن جرير ج ١ ص ١٩٣ وتفسير أبي السعود ج ١ ص ٩٢ .

(٢) المستدرک ج ٢ ص ٥٤٥ والتلخيص للذهبي ج ٢ ص ٥٤٥.

(٣) يقول الألباني: وقول ابن عباس هذا في حكم المرفوع من وجهين الأول: أنه أمر غيبي، لا يقال من مجرد الرأي والثاني: أنه ورد في تفسير الآية وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع كما تقرر في محله انظر: التوسل له ص ١٢٦ .

(٤) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ وتفسير الحسن البصري ج ٢ ص

٤٢ وتفسير مجاهد ص ٢٠٠ (الحاشية) وتفسير الشوكاني ج ١ ص ٧١ ،

٧٢ وتفسير ابن سعدي ج ١ ص ٣٥ وتفسير المنار ج ١ ص ٢٧٩ وأيسر

التفاسير ج ١ ص ٣٩ والدر المنثور ج ١ ص ٥٩ .

(٥) سورة الإعراف، الآية ٢٣ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

ولا منافاة بين القولين بل أحدهما يتم الآخر - ذلك أنها كلها من الكلمات .

يقول ابن جرير : (حدثني المشني قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال : إن آدم لما أصاب الخطيئة قال يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ ، فقال الله إذا أرجعك إلى الجنة. فهي من الكلمات. ومن الكلمات أيضاً ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١).

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن قتادة في قوله: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال : (ذكر لنا أنه قال : يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ ، قال فإني إذن أرجعك إلى الجنة . ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٢) .

وبذلك ثبتت مخالفة هذا الحديث للقرآن ، فتأكد بطلانه.

الثاني : كذلك مما يؤكد بطلانه قوله في آخره (ولولا محمد ما خلقتك) والله يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٣) فالآية تفيد أن الحكمة من الخلق إنما هي عبادة الله وحده لا شريك

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٩٣ وانظر : تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨١.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٥٩.

(٣) سورة الذريات، الآية ٥٦ .

له، لا من أجل ملك مقرب ولا نبي مرسل^(١).

ثانياً : على افتراض أن هذا الحديث ضعيف فقط - كما يزعم بعض المخالفين - فلا يجوز الاستدلال به على مشروعية التوسل المختلف فيه؛ لأنه - على قولهم - عبادة مشروعة وأقل أحوال العبادة أن تكون مستحبة والاستحباب حكم شرعي من الأحكام الخمسة التي لا تثبت إلا بنص صحيح تقوم به الحجة، فإذا كان الحديث عندهم ضعيفاً فلا حجة فيه البتة^(٢).

وبذلك اتضح بطلان هذه الشبهة .

الشبهة السابعة: عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين. وفي رواية يستنصر بصعاليك المسلمين^(٣).

يقول عبد الله الحسيني : (الدليل العاشر من أدلة التوسل بسيد الأنبياء وبغيره من الأولياء والصالحين) ثم ذكر الحديث^(٤).

(١) انظر : التوسل للألباني ص ١٢٥ - ١٢٧.

(٢) التوسل للألباني ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وصيانة الإنسان ص ١٣٥ - ١٤٢.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ١ ص ٢٩٢ ، برقم ٨٥٧ ، ٨٥٨ وفي رواية من طريق قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن المهلب عن أمية بن عبد الله بن خالد قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ١ ص ٢٩٢ برقم ٨٥٩.

(٤) إتحاف الأذكياء ص ٢٨.

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

الجواب: يقال لهم أولاً: الحديث مرسل ضعيف، ذلك أن مداره على أمية بن عبد الله بن خالد مرفوعاً، وأمие لم تثبت له صحبة^(١). يقول ابن عبد البر - في الاستيعاب^(٢) - بعد أن ذكر روايته لهذا الحديث - قال : (لا تصح عندي صحبته والحديث مرسل). وقال الحافظ في الإصابة^(٣) : (وأمие هذا ليست له صحبة ولا رؤية). وقال ابن حبان : (يروي المراسيل، ومن زعم أن له صحبة فقدوهم)^(٤)، وقال البغوي: (أمية بن خالد لا أرى له صحبة)^(٥). كما أن في سنده - في كلا الروايتين - أبا إسحاق. وفيه علة العنينة^(٦).

قال الألباني : - بعد أن ذكر هاتين العلتين - (... فثبت بذلك ضعف الحديث وأنه لا تقوم به حجة)^(٧).
ثانياً : على فرض صحة الحديث - فإنه لا يدل إلا على التوسل بدعاء الصالح الحي وهو مشروع .

يقول المناوي - في فيض القدير - (كان يستفتح) أي يفتح

(١) التوسل للألباني ص ١١٣ .

(٢) ج ١ ص ٣٨ .

(٣) ج ١ ص ١٣٣ .

(٤) الإصابة ج ١ ص ١٣٢ .

(٥) الإصابة ج ١ ص ١٣٢ .

(٦) التوسل للألباني ص ١١٤ .

(٧) التوسل للألباني ص ١١٤ .

القتال ... (ويستنصر) أي يطلب النصرة (بصعاليك المسلمين)
أي بدعاء فقرائهم^(١)

ويقول الألباني - بعد أن ذكر كلام المناوي - (... وقد جاء
هذا التفسير من قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما ينصر الله هذه الأمة
بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم)^(٢) ... فقد بين الحديث أن
الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين لا بدعواتهم وجاههم. ومما
يؤكد ذلك أن الحديث ورد في رواية قيس بن الربيع ... بلفظ (كان
يستفتح ويستنصر ...) ... وبهذا يكون هذا الحديث - إن صح -
دليلاً على التوسل المشروع وحجة على التوسل المبتدع ...)^(٣).

الشبهة الثامنة : يقول أحمد دحلان - وهو يتكلم عن التوسل
بالذات -، ((ويؤيد ذلك أيضاً ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من
قوله : (حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم. ووفاتي خير لكم
تعرض علي أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله تعالى، وما
رأيت من شر استغفرت لكم))^{(٤) (٥)}.

(١) فيض القدير ج ٥ ص ٢٧٩.

(٢) أخرجه النسائي في الجهاد باب الاستنصار بالضعيف وانظر جامع الأصول
حديث ٢٧٨١.

(٣) التوسل للألباني ص ١١٤، ١١٥.

(٤) أخرجه ابن سعد عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله مرسلًا. طبقات ابن
سعد ج ٢ ص ١٩٤.

(٥) الدرر السنية ص ٢٢.

ويقول عبد الله محمد الحسيني: (... وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأمته بعد انتقاله - باستغفاره لهم. وعلى هذا يجوز التوسل به لأنه استشفاع ...)^(١).

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث ضعيف بجميع طرقه. فالحكم عليه بالصحة

غير صحيح.

يقول الألباني : بعد أن ساق كلام العلماء في هذا الحديث . (... وجملة القول أن الحديث ضعيف بجميع طرقه . وخيرها : حديث بكر بن عبد الله المزني، وهو مرسل، وهو من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين. ثم حديث ابن مسعود : وهو خطأ. وشرها حديث أنس بطريقه)^(٢).

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي - في معرض رده على من استدل بهذا الحديث، قال : (... هذا خبر مرسل)^(٣).

وقال محمد بشير : بعد أن ذكر كلام ابن عبد الهادي في هذا الحديث - قال (... فالحكم عليه بالصحة غير صحيح)^(٤).

(١) إتحاف الأذكياء ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ٢ ص ٤٠٤ - ٤٠٦ .

(٣) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٤) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

ثانياً : أن الحديث معارض ^(١) بحديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ليردن على حوضي أقوام، ثم يختلجون، فأقول : أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) أخرجه البخاري ومسلم ^(٢).

والشاهد من هذا الحديث قوله (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك). والحديث الضعيف يقول : (تعرض علي أعمالكم) أي هو صلى الله عليه وسلم يعلم ما عليه أصحابه وغيرهم من أمته من خير أو شر ، فإما أن نقول : السنة متناقضة. وهذا لا يقول به مسلم. أو نقول الحديث الضعيف غير صحيح كما قال الأئمة. وبذلك يزول الإشكال. ويتضح بطلان هذه الشبهة.

الشبهة التاسعة : يقول أحمد دحلان (ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير ^(٣)، وفيها أن سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر : القول الجلي ص ٤٥.

(٢) البخاري في الرقاق باب الحوض. ومسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، انظر : جامع الأصول ج ١٠ ص ١٠١ حديث ٧٥٧١.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ١١١.

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وسلم قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه. ومنها قوله .
وأشهد أن الله لا رب غيره وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعه سواك بمغن عن سواد بن قارب
فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (أدنى
المرسلين وسيلة) ولا قوله (وكن لي شفيعاً)^(١) .

الجواب : يقال لهم :

أولاً : أن الروايات التي ورد فيها الحديث كلها ضعيفة واهية.
وفي المتن : اضطراب ، وإذا كان كذلك لم تقم به حجة .
يقول ابن حجر الهيتمي : بعد أن أورد الحديث بروايتين (وكلا
الإسنادين ضعيف)^(٢) ، وقال محمد بشير- بعد أن ذكر كلام الهيتمي -
(... قد ثبت منه أن كلا الإسنادين ضعيف ، وفي المتن اضطراب
فتنبه)^(٣) ، وقال الرفاعي (... كما ثبت أن كافة طرقه وروياته التي
ورد فيها ضعيفة واهية)^(٤) .

(١) الدرر السنية ص ٢٧ .

(٢) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٥٣ .

(٣) صيانة الإنسان ص ٢٨٧ .

(٤) التوصل ص ٣٠٨ .

ثانياً : على فرض صحة الحديث فإنه لا يدل على جواز التوسل بالذات؛ إذ ليس في الآيات التي وردت في الحديث أي معنى من معاني التوسل بالذات - كما زعم ابن دحلان - بل كل ما تدل عليه أن أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم : هي أعظم أعمال المرسلين فصار بذلك أدناهم وأقربهم إلى الله تعالى - كما في البيت الثاني - كما تدل على أن سواد بن قارب يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم ويرجوه أن يدعو الله تعالى أن يكون له شافعاً يوم القيامة - كما في البيت الرابع .

وهذا الخطاب في حياته. وطلب الشفاعة منه حال حياته جائز؛ لأنه طلب لدعائه صلى الله عليه وسلم أن يكون سواد في جملة من يشفعه الله بهم يوم القيامة. وهي من التوسل بدعاء الصالح الحي^(١). قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: (وقول سواد بن قارب هذا من جنس طلب دعائه صلى الله عليه وسلم في حياته)^(٢)، وبذلك يتضح بطلان استدلالهم بهذا الحديث على التوسل بالذات أو غيره من التوسل الممنوع. والله أعلم .

الشبهة العاشرة : ما روي عن عبد الملك بن هارون بن عنبرة

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٨٧ - ٢٨٩ والتوصل ص ٣٠٧.

(٢) مصباح الظلام ص ٢٠٥

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

عن أبيه عن جده أن أبا بكر الصديق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أتعلم القرآن ويتفلت مني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قل : اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وبإبراهيم خليلك، وبموسى نبيك، وبإسمائيل روحك وكلمتك، وبثورة موسى وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد، وبكل وحي أوحيته وقضاء قضيته ... الحديث))^(١).

الجواب : يقال لهم الحديث غير صحيح وإنما هو مكذوب .
يقول ابن تيمية : (وهذا الحديث ذكره رزين بن معاوية العبدري في جامعه، ونقله ابن الأثير في جامع الأصول^(٢)، ولم يعزه لا هذا ولا هذا إلى كتاب من كتب المسلمين، لكن قد رواه من صنف في عمل اليوم والليلة كابن السني، وأبي نُعيم، وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء، وقد رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب فضائل الأعمال، وفي هذا الكتاب أحاديث كثيرة... موضوعة، ورواه أبو موسى المديني من حديث زيد بن الحباب عن عبد الملك بن هارون ابن عنزة وقال ... ليس بالمتصل ... يريد أنه لو كان رجاله ثقات فإن

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر : قاعدة جليلة ص ٨٣ .

(٢) ج ٤ ص ٣٠٢ برقم ٢٣٠٢ .

إسناده منقطع (١).

ثم قال ابن تيمية : (عبد الملك بن هارون بن عنزة من المعروفين بالكذب) (٢).

وقال يحيى بن معين : كذاب. وقال السعدي : دجال كذاب.

وقال أبو حاتم ابن حبان : يضع الحديث. وقال النسائي : متروك الحديث، وقال البخاري منكر الحديث .

وقال ابن عدي : له أحاديث لا يتابعه عليها أحد .

وقال الحاكم في كتاب المدخل : عبد الملك بن هارون بن عنزة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وقال أبو حاتم الرازي متروك الحديث (٣).

وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وقال : عبد الملك دجال مع ما في السند من الإعضال (٤) وعلى هذا فالحديث رجاله ليسوا ثقات. ولو فرض أنهم

(١) قاعدة جلية ص ٨٣ ، ٨٤.

(٢) قاعدة جلية ص ٨٤.

(٣) انظر : لسان الميزان ج ٤ ص ٨٤ ، ٨٥ والجرح والتعديل ج ٥ ص ٣٧٤ والضعفاء والمتروكين ج ٢ ص ١٥٣ وقاعدة جلية ص ٨٤ .

(٤) اللآلئ المصنوعة ج ٢ ص ٣٥٧.

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

ثقات فإنه منقطع - كما قال أبو موسى المديني - وعليه فلا يحتج به .
والله أعلم .

الشبهة الحادية عشر: ما ذكره موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بإسناده عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال : (من سره أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر وليشربه على الريق وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ويدعو به في أدبار صلواته : اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولا يسأل، وأسألك بحق محمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك، وعيسى روحك وكلمتك ووجهك)^(١) وذكر تمام الدعاء .

الجواب : يقال لهم هذا الحديث مكذوب فلا يحتج به .
يقول ابن تيمية: (وموسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين) .
وقال ابن عدي فيه: منكر الحديث . وقال أبو حاتم ابن حبان: دجال يضع الحديث، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل، وقال الذهبي ليس بثقة^(٢) .

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر : قاعدة جلية ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) انظر : قاعدة جلية ص ٨٨ ، وميزان الاعتدال ج ٦ ص ٥٤٩ .

ومما يؤكد أن الحديث مكذوب تضمنه بعض الكلمات التي لا تبدو إلا من كافر .

مثل قوله : (.. لم يسأل مثلك ولا يسأل) . فقوله (مثلك) يؤكد وضع الحديث وأن واضعه كافر ماكر خبيث . من هو هذا المثل لله الذي لم يسأل ولا يسأل)^(١) .

لذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات^(٢) ، والسيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة^(٣) .

الشبهة الثانية عشر : ما يرويه بعض الجهال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) . وبعضهم يرويه بلفظ (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) .

أورد هذه الشبهة محمد التيجاني والسمنهودي مستدلين بها

(١) انظر التوصل ص ٣٢١ .

(٢) عن ابن مسعود . وقال : هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم - والمتهم به عمر بن صحيح . قال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات ، وقال ابن عدي : منكر الحديث ، وقال الدار قطني : متروك وقال الأزدي : كذاب . انظر : الموضوعات ج ٢ ص ٣٥٦ ، والضعفاء والمتروكين ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) عن ابن مسعود من طريق عمر بن صحيح وموسى بن إبراهيم المروزي - وقال : حديث موضوع . وموسى بن إبراهيم المروزي كذاب كما قال يحيى بن معين . وقال الدار قطني : متروك . وقال ابن حبان : كان مغفلاً يلحن فيتلحن فاستحق الترك . انظر : اللآلي المصنوعة ج ٢ ص ٣٥٧ ، والضعفاء والمتروكين ج ٣ ص ١٤٤ .

على مشروعية التوسل بالجاء^(١)

وجه استدلالهم : قالوا في الحديث أمر بالتوسل بالجاء فهو إذاً

مشروع.

الجواب : يقال هذا الحديث كذب لا أصل له في شيء من

كتب الحديث البتة وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة^(٢).

قال شيخ الإسلام : (... وهذا الحديث كذب ليس في شيء

من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد

من أهل العلم بالحديث. مع أن جأه عند الله أعظم من جأه جميع

الأنبياء والمرسلين ... ولكن جأه المخلوق عند الخالق سبحانه ليس

كجأه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ...

والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول

المطلوب، والله سبحانه وتعالى : لا شريك له، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ

أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ

﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾^(٣) .^(٤)

(١) انظر : بغية المستفيد ص ١٢٥ ، وسعادة الدارين ص ٢٠٥ ، كما رواها

عنهم شيخ الإسلام. انظر قاعدة جليلة ص ١٢٩.

(٢) انظر : قاعدة جليلة ص ١٢٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ١

ص ٣٠ والأسنة الحداد ص ٢٣٢.

(٣) سورة سبأ، الآيتان ٢٢، ٢٣ .

(٤) قاعدة جليلة ص ١٣٠، ١٢٩.

وقال الشيخ الألباني : ((هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة .. إلى أن قال : فلا يلزم إذاً من كون جاهه صلى الله عليه وسلم عند ربه عظيماً أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عنه صلى الله عليه وسلم)^(١) وقال العلامة الألوسي : (وما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم (إذا كانت لكم إلى الله تعالى حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهي فإن جاهي عند الله تعالى عظيم) ، لم يروه أحد من أهل العلم ، ولا هو في شيء من كتب الحديث))^(٢).

مما ذكرنا اتضح أن الحديث باطل لا أصل له . لكن لا يلزم من بطلانه نفي الجاه عنه صلى الله عليه وسلم بل نقول إن جاهه أعظم من جاه جميع الأنبياء إلا أنه لا يلزم من ذلك أن نتوسل به؛ لأن التوسل أمر توقيفي ولم نقف على نص من الكتاب أو صحيح السنة. يثبت^(٣) ذلك والله أعلم .

الشبهة الثالثة عشر : حديث : (إذا أعتكم الأمور فعليكم بأهل القبور ، أو فاستعينوا بأهل القبور)^(٤).

(١) التوسل للألباني ص ١٢٨ ، ١٢٩ وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة له ص ٣٠.

(٢) روح المعاني ج ٦ ص ١٢٧.

(٣) انظر قاعدة جليلة ص ١٢٩ والتوسل للألباني ص ١٢٩.

(٤) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر قاعدة جليلة ص ١٥٢ والفتاوي ج ١١ ص ٢٩٣.

التوسل المشروع والممنوع _____ د. عواد بن عبدالله المعتق

الجواب : يقال لهم هذا الحديث مكذوب باتفاق العلماء فلا

يحتج به.

قال شيخ الإسلام : - بعد ذكر هذا الحديث - (فهذا الحديث كذب مفترى على النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة)^(١).

وقال أيضاً : ((وما يرويه بعض الناس من أنه قال : (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور)) أو نحو هذا . فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء)^(٢).

وقال ابن القيم : وهو يعد الأمور التي أوقعت عباد القبور في الافتتان بها (... ومنها أحاديث مكذوبة وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض دينه، وما جاء به كحديث (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)^(٣).

ومما يؤكد أنه مكذوب ما يلي :

أولاً : أن العلة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم لأجلها عن الصلاة عند القبور إنما هي لئلا تكون ذريعة إلى نوع من الشرك ومن

(١) قاعدة جلية ص ١٥٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٧.

(٣) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٢٣٣.

المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير أو دفع شر حاله في الافتتان بالقبور إذا رجا الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية . فإذا كانت العلة التي لأجلها نُهي عن الصلاة عندها متحققة في حال من يتوسل بها كان نهيمهم عن ذلك أوكد ^(١) . وعليه فكل أمر يناقض هذا النهي فهو مكذوب .

ثانياً : أن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة رجاء أكثر من رجاء الإجابة في غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله . ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين ولا أئمة المسلمين . وقد أجذب الصحابة مرات ومع ذلك لم يستسقوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على أن الحديث مكذوب ^(٢) .

ثالثاً : أن الحديث يتعارض مع النقل الصريح .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۚ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ ﴾ ^(٣) .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ (بتصرف).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٨ . (بتصرف) وإغاثة اللفهان ج ١ ص ٢٢٣ .

(٣) سورة فاطر، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

وقال صلى الله عليه وسلم: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (يحذر ما صنعوا))^(١). وما يتعارض مع الكتاب أو السنة الصحيحة فهو مكذوب.

الشبهة الرابعة عشر : وهي استدلالهم بآثار وحكايات ضعيفة أو موضوعة وهي مهما كثرت أو صح شيء منها فلا دلالة فيها على جواز التوسل بالجاء أو الذات أو غيرهما من التوسل الممنوع؛ ذلك أن العقيدة الإسلامية توقيفية على الكتاب وصحيح السنة. وما سواهما إن وافق الكتاب والسنة الصحيحة أخذ به مؤيداً وليس دليلاً وإن خالفهما أو أحدهما فهو مردود. ونذكر شيئاً منها مع بيان درجتها من الصحة والضعف. وهل فيها دلالة على ما يزعمونه أم لا ؟

الأثر الأول : قال ابن حجر (وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري - وكان خازن عمر - قال : (أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتني الرجل في المنام ، فقيل له : ائت عمر... الحديث) . وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو

(١) رواه البخاري ومسلم انظر جامع الأصول حديث ٣٦٧٠.

بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة (١) ومن استدل به السبكي وأحمد بن دحلان، والزهاوي، ومحمد الفقي، ومحل استدلالهم طلبه الاستسقاء من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته (٢).

الجواب : يقال لهم :

أولاً : عدم التسليم بصحة هذه القصة لأن مالكا الداري غير معروف العدالة والضبط وهما شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح. ولا ينافي هذا قول الحافظ بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان؛ لأن التصحيح ليس نصاً في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولولا ذلك لقال عن مالك الداري وإسناده صحيح. وعليه فالأثر ضعيف لجهالة مالك فلا يحتج به .

ثانياً : على فرض أن القصة صحيحة فلا حجة فيها لأن مدارها على رجل لم يُسم كما أن فيها مخالفة للسنة من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، ولأن عمل الصحابة على خلافها - وهم أعلم الناس بعد رسول الله بالشرع - ولذا لم ينقل عن أحد منهم أنه أتى إلى قبره صلى الله عليه وسلم

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٢) انظر : شفاء السقام ص ١٤٥ والدرر السنية ص ٩ والضياء الشارق ص ٥٤٦ ، والتوسل محمد الفقي ص ١٥٤ .

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

يسأله السقيا ولا غيرها، ولو كان مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة بل عدل عمر عنه لما وقع الجذب إلى الاستسقاء بالعباس ولم ينكر عليه أحد من الصحابة فدل ذلك على أن ما فعله عمر هو الحق وأن ما فعله هذا الرجل - لو قدر أنه صحيح - منكر ووسيلة إلى الشرك .
وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة (بلال بن الحارث) . فمردودة ، أيضاً لأن سيفاً هذا هو ابن عمر التميمي - متفق على ضعفه عند المحدثين بل قال ابن حبان فيه ((يروى الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا : إنه كان يضع الحديث) ومن كانت هذه حاله فلا تقبل روايته لاسيما عند المخالفة ^(١) .

الأثر الثاني : قال أحمد دحلان (... ذكر السهمودي في خلاصة الوفاء أن من الأدلة الدالة على صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما رواه الدارمي في سننه عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها - فقالت : انظروا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمت الإبل حتى تفتقت من الشحم

(١) انظر حاشية فتح الباري للشيخ ابن باز ج ٢ ص ٤٩٥ ، والتوسل للألباني ص ١٣١ - ١٣٣ والكاشف للذهبي ج ١ ص ٣٣٣ .

فسمى عام الفتق ((^(١) ^(٢)). كما استدل به محمد الفقي^(٣). وعبد الله الحسيني^(٤).

الجواب : يقال لهم : أولاً : هذا الأثر غير صحيح فلا تقوم به حجة لما يلي :

أ- أن في سنده أبا النعمان - محمد بن الفضل - يعرف بعارم - اختلط في آخر عمره قال الذهبي : تغير قبل موته وترك الأخذ منه - وقال البخاري : تغير في آخر عمره ، والحكم فيمن اختلط : أن لا يقبل حديث من أخذ منه بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ منه قبل الاختلاط أو بعده ، - وهذا الأثر لا يدرى هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أم بعده - فهو إذاً غير مقبول.

ب- في سنده سعيد بن زيد - فيه ضعف - قال الذهبي : قال : يحيى بن سعيد : ضعيف، وقال السعدي : ليس بحجة يضعفون حديثه - وقال النسائي وغيره - ليس بالقوي .

ج- في سنده عمرو بن مالك النكري - قال الحافظ في التقریب : صدوق له أوهام .

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ٤٣ عن أبي النعمان - عن سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء.

(٢) الدرر السنية ص ٢٠.

(٣) انظر : التوسل محمد الفقي ص ١٥٥.

(٤) انظر : إتحاف الأذكياء ص ٣٥.

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

د- في سنده أبو الجوزاء - أوس بن عبد الله - قال الحافظ في التقریب : يرسل كثيراً. وقال البخاري : في إسناده نظر ^(١).
وقال محمد بشير - بعد أن تكلم ، في سند هذا الأثر - (فقد ثبت من هناك أن هذا الحديث ضعيف منقطع) ^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء ، لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده ، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة ...) ^(٣).

ثانياً : على فرض أنه صحيح فإنه موقوف على عائشة - فلا يحتج به عند المحققين ؛ لأنه يصبح من الآراء الاجتهادية التي يخطئ أصحابها ويصيبون ، والعقيدة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها. إضافة إلى ذلك كله فإنه يعارضه ما روي عن عمر أنه أمر بتعمية قبر دانيال خشية الافتتان به. فقد ذكر محمد بن إسحاق عن خالد بن دينار عن أبي العالية قال : (لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ... قلت : فما صنعتُم بالرجل ؟. قال : حفرنا له

(١) انظر: التوسل للألباني ص ١٤٠ ، ١٤١ ، وصيانة الإنسان ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٢) صيانة الإنسان ص ٢٥٤ .

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص ٦٨ ، ٦٩ .

بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس، لا ينبشونه... (١).

فانظر ما في هذه القصة من صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمية قبر هذا الرجل لئلا يفتن به الناس (٢)، هذا يؤكد أنه مستحيل من رجال هذا صنعهم أن يبرزوا قبر رسول الله، أو يرضوا بذلك لأجل نزول المطر كما زعم من نقل هذا الأثر .

الأثر الثالث : خبر مرثية صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول أحمد دحلان: (وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات فيها : قولها :

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا
ففيها النداء بعد وفاته مع قولها (أنت رجاؤنا) وسمع تلك
المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها : يا رسول
الله أنت رجاؤنا (٣).

(١) السير والمغازي ص ٦٦ .

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ والتوسل للألباني ص ١٤١ ، وإغاثة اللهفان ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٨ .

(٣) الدرر السنية ص ٢٧ .

الجواب : يقال لهم :

أولاً : قيل أن هذه القصيدة ليست لصفية... رضي الله عنها،
يؤيد ذلك - أن ابن هشام لم يذكرها في سيرته في جملة المراثي التي
قيلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته .

ثانياً : أن هذا الخبر ذكر في سنده أنه عن عروة بن الزبير قال:
قالت^(١) صفية: وفيه انقطاع بين عروة وبين صفية جدته لأبيه فقد
ولد عروة سنة ٢٩هـ كما في التهذيب^(٢) ونحوه .

ولما كانت المراثية عقب وفاته صلى الله عليه وسلم فتكون
ولادته بعد القصيدة بتسعة عشر سنة. وصفية ماتت سنة ٢٠هـ .
أي قبل ولادة عروة بتسع سنين ، وعليه فإن عروة لم يدرك صفية ،
وروايته عن أبيه الزبير مرسلة ، فكيف عن أم أبيه فإنها أيضاً منقطعة
ومرسلة .

ثالثاً : أن في هذا البيت الذي استشهد به تحريفاً عن أصله فقد
ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد^(٣) فقال : روى الطبراني بإسناد
حسن عن عروة بن الزبير قال : قالت صفية ترثي رسول الله صلى الله

(١) انظر : مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٢ .

(٢) التهذيب ج ٢٠ ص ٢٢ وقيل ولد سنة ٢٣ . انظر : التهذيب الجزء
والصفحة وعلى كلا القولين فهو لم يدرك صفية، فالرواية منقطعة مرسلة .

(٣) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٢ .

عليه وسلم :

ألا يا رسول الله كنت رجائنا وكنت بنا براً ولم تك جافياً
هكذا رواه الطبراني - فحرفه أحمد دحلان فقال : (أنت
رجائنا) ليدل هذا اللفظ على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجاء في الحياة وبعد الممات .

وإذا ثبت تحريفه بطل الاستدلال به .

أما قول صفيه كما رواه الطبراني وهو (كنت رجائنا) فهو
حجة عليهم؛ حيث فرقت بين الحياة ، وبعد الممات. فهو في حياته
كانوا يرجعون إليه فيدعو الله لهم. وإنما لجئوا إلى هذا التحريف
ليثبتوا باطلهم ، وعلى هذا فإن الخبر ضعيف لا تثبت به حجة.
وعلى فرض صحته ، فإنه محرف المتن واحتجوا به بعد التحريف.

رابعاً : لو قدر أنه صحيح غير محرف فإنه لا دلالة فيه على ما
زعموه ؛ ذلك أن المراد من المروثة أنه صلى الله عليه وسلم رجاء
بمعنى مرجو - في الأمر الذي يقدر عليه في حياته وبعد وفاته :

فيما ثبت بالكتاب والسنة كونه رجاء فيه .

أما ما ورد في الخبر من النداء . فنقول :

أولاً : أن (يا) هنا للندبة لا للنداء كقول فاطمة رضي الله
عنها - يا أبتاه أجاب رباً دعاه .

ثانياً : لو سلم ثبوت النداء منها فلا يثبت منه مطلوب

الخصم؛ ذلك أن النزاع إنما هو في نداء يتضمن الدعاء والطلب - مثل أن يقال: يا رسول الله اشفني أو يا رسول الله استغفر لي - فالأول: شرك، والثاني: بدعة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ووسيلة إلى الشرك - وليس في المروثة دعاء شيء ولا طلبه. وعليه فلا دلالة في هذا الخبر على ما زعموه .

خامساً : إضافة إلى ما ذكرنا كله فإنه لا يصح الاستدلال في أمور العقيدة بمثل كلمة في جملة ينطق بها صحابي أو صحابية لاسيما في الشعر الذي اعتاد أهله المبالغة في المدح والتلهف - فالله لم يتعبد الأمة بغير قوله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم^(١) .

الرابع : حكاية الإمام مالك مع المنصور في التوسل .

يقول أحمد دحلان: (وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك للخليفة المنصور ، وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الإمام مالكا - وهو بالمسجد النبوي - فقال لمالك : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو ؟ .

فقال له الإمام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٨٩ - ٢٩٨ (المتن والحاشية) ، والتوصل ص ٣٣٠ - ٣٣٢ .

واستشفع به فيشفعه الله فيك ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾^(١) ذكرها القاضي عياض في الشفا^(٢) عن محمد بن حميد^(٣) .
الجواب : يقال لهم هذه الحكاية غير صحيحة^(٤) عنه - لأمر منها :

أولاً: في الإسناد علل منها :

أ- أنه منقطع إذ أن فيه محمد بن حميد الرازي - لم يدرك مالكا لا سيما في زمن أبي جعفر فإن أبا جعفر توفي سنة ١٥٨ هـ، وتوفي مالك سنة ١٧٩ هـ، وتوفي محمد بن حميد سنة ٢٤٨ هـ، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه. وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث. كذبه أبو زرعة، وابن وارة، وقال صالح محمد الأسدي : ما رأيت أحداً أجراً على الله منه، وأحذق بالكذب منه. وقال يعقوب بن شيبة : كثير المناكير. وقال النسائي : ليس بثقة .

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي (وابن حميد هو محمد بن حميد

(١) سورة النساء، الآية ٦٤ .

(٢) الشفاء ج ٢ ص ٣٥ بإسناد غريب منقطع - كما قال شيخ الإسلام - انظر: قاعدة جليلة ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) الدرر السنية ص ٩ ، ١٠ كما استدلل بها محمد الفقي انظر : التوسل له ص ١٥٣ .

(٤) انظر: قاعدة جليلة ص ٧٠، والصارم المنكي ص ٣٤٥ .

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته. لم يسمع عن مالك شيئاً ولم يلقه بل روايته عنه منقطعة^(١).

ب- أن هذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه ولم تعرف إلا من جهة محمد بن حميد - وهو ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته^(٢).

ج- أن في الإسناد أيضاً من لا يعرف حاله كما قال شيخ الإسلام^(٣).

ثانياً : أن أصحاب مالك متفقون على أنه يمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه ذلك أنهم إنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين .

فكيف بمسألة فقهية عقدية تناقض مذهبه المعروف عنه مناقضة صريحة رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث^(٤).

ثالثاً : أن هذه الحكاية مناقضة لمذهب مالك المعروف عنه من

(١) قاعدة جليلة ص ٦٧ والكاشف للذهبي ج ٣ ص ٣٢ والصارم المنكي ص ٣٤٥.

(٢) قاعدة جليلة ص ٦٧.

(٣) قاعدة جليلة ص ٦٧.

(٤) قاعدة جليلة ص ١٢٥ (ينصرف) وانظر تقديم المحقق ص ٢٨.

وجوه منها :

الأول : قوله: (ولم تصرف وجهك عنه ...) فإن المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة التابعين أن الداعي إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في المسجد. قال ابن تيمية : (ومذهب الأئمة الأربعة ... وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أن يدعو لنفسه فإن يستقبل القبلة^(١)، أما عند القبر فيقتصر على السلام - بل كره مالك إطالة القيام لذلك^(٢) .

قال القاضي عياض في المبسوط: عن مالك قال: (لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم ويمضي)^(٣).
الثاني: قوله: (استقبله واستشفع به) كذلك مناقض لمذهب مالك وغيره من سلف هذه الأمة مخالف لأقوالهم وأفعالهم ؛ إذ لم يقل به أحد من السلف لا مالك ولا غيره ولم يفعلوه ، بل كانوا لا يستقبلون القبر للدعاء لأنفسهم فضلاً عن أن يستقبلوه ويستشفعوا به. ذلك أنه غير مشروع^(٤).

(١) قاعدة جليلة ص ١٥٠.

(٢) الفتاوي ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) الفتاوي ج ١ ص ٢٣٠.

(٤) انظر : قاعدة جليلة ص ٦٨ - ٧٠ ، ٧٤ - ٧٦ واقتضاء الصراط المستقيم

ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ وإغائة اللهفان ج ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١.

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

ولذا قال شيخ الإسلام - في معرض رده على هذه الشبهة - :
(... فدل ذلك على أن ما في الحكاية المنقطعة من قوله : (استقبله
واستشفع به) كذب على مالك مخالف لأقواله وأقوال الصحابة والتابعين
وأفعالهم التي يفعلها مالك وأصحابه ونقلها سائر العلماء ...) ^(١).

رابعاً : كذلك مما يؤكد عدم صحتها أن ما نسب إلى مالك
منها لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولا سنه لأئمة ولا فعله أحد
من الصحابة والتابعين ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين لا مالك ولا
غيره فكيف يجوز أن ينسب إلى مالك مثل هذا الكلام الذي لا يقوله
إلا جاهل مع علو قدر مالك وتمام رغبته في اتباع السنة ^(٢) .

فتبين بما ذكرنا أنها غير صحيحة. ولو كانت صحيحة مخالفة
للكتاب أو السنة لم يلتفت إليها فكيف وهي مكذوبة.

الخامس : حكاية توسل الشافعي بأبي حنيفة، وبأهل البيت .
يقول أحمد دحلان : (وقال ابن حجر في كتابه المسمى :
(بالخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان) في الفصل
الخامس والعشرين ... إن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل
بالإمام أبي حنيفة ...) ^(٣).

(١) قاعدة جليلة ص ٧٠.

(٢) قاعدة جليلة ص ٧٤ ، ٧٥. (بتصرف).

(٣) الدرر السنية ص ٢٧ ، ٢٨ ، كما أوردها عبد الله الحسيني مستدلاً بها في
كتابه إتحاف الأذكياء ص ٤١.

وقال أيضاً : وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى :
(بالصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة) : أن الإمام الشافعي
رحمه الله توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :
آل البيت ذريعتي وهم إليهم وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي^(١)

الجواب : يقال لهم :

أولاً : لابد من رفع الحكايتين إلى أصحابها بسند يعتمد عليه،
وإلا فهي مجرد دعوى لا قيمة لها^(٢). لاسيما إذا كان المتهم من أشد
العلماء تمسكاً بالسنة ومحاربة البدعة.

ثانياً : أن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن بها قبر ينتاب للدعاء
البتة. بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً. وقد رأى الشافعي
بالحجاز والشام والعراق من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان
أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من
العلماء، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عند قبر أبي حنيفة ؟^(٣).

ثالثاً : أن الإمام الشافعي يعلم تمام العلم أنه غير مشروع في

(١) الدرر السنية ص ٢٧ ، ٢٨ ، كما أوردها عبد الله الحسيني مستدلاً بها في
كتابه إتحاف الأذكياء ص ٤١.

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩٨.

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣ ، ٣٤٤.

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

الكتاب والسنة، ولذا ثبت عنه كراهة تعظيم قبور الصالحين خشية الفتنة بها^(١)، فكيف يقدم على بدعة لا يقرها. هذا مستحيل من مثله.

ولذا قال ابن تيمية: بعد أن أورد هذه الحكاية (... وهذا

كذب معلوم كذبه بالاضطرار عند من له أدنى معرفة بالنقل)^(٢).

وقال ابن القيم : (والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان

يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر)^(٣).

رابعاً : أن الآيات المذكورة مكذوبة على الإمام الشافعي

لخلوها من السند الصحيح - كما أشرت إليه آنفاً - ولمخالفتها

لمنهجه رحمه الله، ولو قدر أنها صحيحة فإنها لا تضمن التوسل

بالذات؛ إذ معناها : أن حب آل البيت واتباعهم وشفاعتهم والصلاة

عليهم ذريعتي ووسيلتي ، وكذا قوله (أرجو بهم) أي أرجو بحبهم

واتباعهم وشفاعتهم ، مثل قول عمر : (اللهم إنا كنا نتوسل إليك

بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ...) فإن المراد إنا كنا

نتوسل إليك بدعاء نبينا^(٤).

مما ذكرنا اتضح أن هاتين الحكايتين مكذوبتان على الإمام

الشافعي رحمه الله .

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣ .

(٣) إغاثة اللفهان ج ١ ص ٢٣٦ .

(٤) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

والصحيح من مثلها إذا خالف الكتاب والسنة لا يعتد به فكيف المكذوب.

ثالثاً : شبهاتهم من العقل : منها ما يلي :

الشبهة الأولى : قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح.

يقول السبكي : (وإذا جاز السؤال بالأعمال وهي مخلوقة فالسؤال بالنبي صلى الله عليه وسلم أولى)^(١).

ويقول أحمد دحلان : (وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار ... فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ...)^(٢).

الجواب : يقال لهم :

أولاً : أن هذا قياس ، والقياس في العقيدة باطل ؛ ذلك أنها توقيفية على الكتاب والسنة الصحيحة فلا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً : أنه قياس مع الفارق - فالتوسل بالأعمال : إنما هو التقرب إلى الله بما شرعه لعباده في كتابه أو على لسان رسوله

(١) شفاء السقام ص ١٣٦.

(٢) الدرر السنة ص ٢٦.

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

صلى الله عليه وسلم؛ إذ هي التي تزكي نفس العامل وتجعله أهلاً لقبول دعائه.

أما ذات الغير فلم يشرع الله التقرب بها ، كما أنها لا تأثير لها البتة في تزكية المتقرب بها مهما كانت تلك الذات فاضلة بعملها المزكي لها ؛ ذلك أن التزكية تأتي من العمل ، لا من الذات .

ثالثاً : أن قولكم هذا يلزمنا لو قلنا أنه يجوز التوسل بعمل الغير ، ونحن لا نقول ذلك ولم يقل به أحد من السلف. فإذا كان التوسل بعمل الغير لا يجوز فالتوسل بذاته من باب أولى لا يجوز ^(١).

الشبهة الثانية : قياس الخالق على المخلوق :

وموجز هذه الشبهة : يقولون : إننا نتوسل بذوات الأنبياء والصالحين عند الله كما نتوسل بأصحاب الجاه والمنزلة عند الملك أو نحوه.

أي نجعل الأنبياء أو الصالحين واسطة بيننا وبين الله. كما نجعل صاحب الجاه والمنزلة عند الملك واسطة بيننا وبينه في قضاء حوائجنا؛ لأننا لا نقدر أن نصل إلى الله بغير ذلك ^(٢).

يقول محمد عطا: (وإنما الطلب من هؤلاء الصالحين على

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٠٩ ، ٢٨٥ (المتن والحاشية)، والتوسل للألباني ص ١٥٢.

(٢) انظر : الدرر السنية ص ٢٦ ، وشفاء السقام ص ١٤٤ ، والتوسل للألباني ص ١٤٥ ، والقول الجلي ص ٤١.

سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه^(١).

الجواب : يقال لهم :

أولاً : هذا قياس. والقياس في العقيدة باطل إذ هي توقيفية فلا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً : أن فيما زعمتم تشبيهاً للخالق بالمخلوق وهذا باطل، قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

ثالثاً : قياسكم قياس مع الفارق، فالمخلوق قد تعذره علل تستلزم وجود الواسطة بينه وبين صاحب الحاجة، من ظلم أو كبر أو جهل، أو منفعة يتطلع إليها، أو غيرها من العلل التي تكون حائلة دون قضاء مصالح الناس، أما الخالق فيتزهر عن هذه العلل وغيرها، فهو الغني القريب المحيى السميع العليم الرؤوف الرحيم .

رابعاً : عندما قسم الله بخلقه شبهتموه بأصحاب الصفات الدنيئة الذين لا يعطون الناس حقوقهم إلا بواسطة.

إنكم لو شبهتموه - سبحانه وتعالى - بأصحاب الصفات الفاضلة لكفرتم فكيف وقد شبهتموه بأصحاب الصفات الدنيئة^(٣).

(١) انظر: الأقوال المرضية له ضمن (الصواعق المرسلة لابن سحمان) ص ١٤٤ .

(٢) سورة الشورى، الآية ١١ .

(٣) انظر صيانة الإنسان ص ١٨٠ - ١٨٢ والتوسل للألباني ص ١٤٦ - ١٤٨ ، والقول لفصل النفيس ص ٧٩ .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

قال شيخ الإسلام: (... وإن أثبتتم وسائط بين الله وبين خلقه - كالحجاب الذين بين الملك ورعيته - بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، فالله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك : يسألون الملوك الحوائج للناس ، لقربهم منهم ، والناس يسألونهم ... فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه : فهو كافر مشرك ... وهؤلاء مشبهون لله شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً ...)^(١).

الخاتمة :

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد : فيإلى القارئ الكريم بعض النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث المتواضع.

إنه من دراستي للتوسل المشروع والممنوع توصلت إلى نتائج هامة منها - ما يلي :

الأولى : أن التوسل في أصل اللغة هو : التقرب إلى المطلوب .
وأن الوسيلة : في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به .
الثانية : أن التوسل في الشرع : هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه في كتابه أو على لسانه رسوله صلى الله عليه وسلم وأن الوسيلة : هي : ما يتقرب به إلى الله رجاء حصول مرغوب أو دفع

(١) الفتاوي ج ١ ص ١٢٦ .

مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات .

الثالثة : أن الوسيلة تكون مشروعة وتكون ممنوعة - فما وافق الكتاب وصحيح السنة فهي مشروعة وما خالفهما أو أحدهما فهي ممنوعة .

وعليه فالتوسل قسمان : مشروع وممنوع .

الرابعة : أن التوسل المشروع هو ما وافق الكتاب أو صحيح السنة.

ومن أنواعه :

الأول : التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته.

الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة.

الثالث : التوسل بدعاء الصالح الحي.

الرابع : التوسل بذكر الحال.

الخامسة : أن التوسل الممنوع : هو تقرب العبد إلى الله بما لم

يثبت في الكتاب ولا في صحيح السنة : أنه وسيلة. وأنه نوعان :

الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها مثل توسل

المشركين بأهتهم.

الثاني : التوسل بوسيلة دلت قواعد الشرع على بطلانها.

ومن أنواعه :

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق .

التوسل المشروع والممنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما .

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له .

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبیه أو ولیه أو بحق

نبیه أو ولیه ونحوهما .

السادسة : أن التوسل الممنوع محرم ؛ ذلك أنه إما شرك كأن

يعتقد في المتوسل به شيئاً من النفع أو الضر من دون الله. أو وسيلة

إلى الشرك كأن يتوسل بجاه أو ذات مخلوق ، ونحو ذلك. أو يتوجه

إلى ميت طالباً أن يدعو الله له .

إذ في ذلك إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً إلى اعتقاد أن فيه

نفعاً من دون الله ومن ثم يحصل دعاؤه فيقع في الشرك .

السابعة : أن التوسل الممنوع باطل بنوعيه :

أما الأول : فبطلانه ظاهر ولذا نص الشارع، على بطلانه إذ

هو عين الشرك.

وأما الثاني : فإنه لم يرد له دليل في الكتاب أو السنة الصحيحة.

ويؤكد ذلك أن الصحابة وغيرهم من أهل القرون المفضلة لم

يعملوا به ولو كان موجوداً فيهما أو في أحدهما لعملوا به كما أنه

ذريعة إلى الشرك .

الثامنة : التوسل بالذات إضافة إلى أنه لم يرد له دليل في

الكتاب ولا السنة الصحيحة فإن فيه شبهاً بتوسل المشركين بأهلتهم كما أن فيه انتقاصاً لله تعالى وتنزيراً له منزلة المخلوق الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره ويحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله. وبعده عن سماع مقاله .

التاسعة : أن في التوسل بدعاء الميت . دعاء ميت وقد ورد النهي عنه والوعيد عليه ، إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك .

العاشرة : التوسل بالجاه أو الحق ونحوهما : إضافة إلى عدم ثبوته بالكتاب والسنة الصحيحة فإن فيه توسلاً بعمل الغير وفيه اعتداء بالدعاء، كما أنه يتضمن أن للمخلوق حقاً على الله وليس على الله حق إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق .

الحادية عشر : الإقسام على الله بالتوسل به، إضافة إلى عدم ثبوته في الكتاب والسنة الصحيحة. فإن فيه إقساماً بغير الله، وفيه تعظيم للمخلوق ورفع فوق منزلة الخالق؛ إذ من المسلم به أن المحلوف به يكون أعظم من المحلوف عليه .

الثانية عشر : أن من قال بشيء من التوسل الممنوع إنما تمسك بشبهات من الكتاب أو السنة أو أقوال أو أفعال الصحابة والتابعين أو العقل .

الثالثة عشر : لقد اتضح من مناقشة شبهاتهم : أن استدلالهم

التوسل المشروع والمنوع ————— د. عواد بن عبدالله المعتق

بالكتاب خاطيء نتج عن سوء فهمهم لكتاب الله بل هو حجة عليهم في بعض ما استدلوا به .

أما السنة وأقوال وأفعال الصحابة والتابعين فهو إما استدلال في غير محله . أو حديث أو أثر ضعيف أو موضوع .

أما شبهاتهم من العقل : فهي تستلزم القياس وهو مردود، إذ العقيدة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها.

كما أنها تستلزم تشبيه الله بخلقه وهو باطل، إذ لا شبيه له سبحانه . قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١).

ومما ذكرنا اتضح بطلان قول من قال بالتوسل بالمنوع أو شيء منه .

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) آية ١١ سورة الشورى.